الدلالات الاستلزامية للأساليب الإنشائية في الطواسين

"دراسة تداولية في ضوء نظرية الاستلزام الحواري لجرايس"

دكتور/ علاء رمضان عبد الكريم أحمد

مدرس بقسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة أسيوط

ملخص البحث: يهدف هذا البحث إلى دارسة الدلالات الاستلزامية للأساليب الإنشائية في الطواسين، وذلك باستخدام منهج لغوي حديث يتمثل في نظرية الاستلزام الحواري لبول جرايس، والهدف من ذلك تأكيد أصالة تراثنا وغناه مقابل هذه النظريات، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى– أكثر أهمية من وجهة نظري– تأكيد الضرورة الملحة لقراءة تراثنا بمثل هذه الأدوات والمناهج الجديدة، وعقد المقارنات بين الجديد والقديم، لنواكب التطور ونحقق لتراثنا الفهم المنشود.

يدرس هذا البحث أساليب الاستفهام والأمر والنهي في الطواسين للكشف عن دلالاتها الاستلزامية، وفق نظرية الاستلزام الحواري، مستعينا بالشروط التي وضعها علماؤنا لهذه الأساليب، وقد كشف البحث عن جملة من النتائج أهمها، خروج أسلوب الاستفهام في الطواسين إلى جملة من المعاني منها: التوبيخ والتبكيت، والنصح والإرشاد، والاستعانة وطلب المشورة، والحث والتشجيع، ومن الدلالات المستلزمة التي دل عليها الأمر: الدعاء، والنصح، والالتماس، في حين كان من معاني النهي الاستلزامية: التحذير والتوبيخ والتسلية، ويوصى البحث بضرورة عقد مثل هذه الدراسات التي تبين أصالة التراث، وتعمل على تطويره من داخله، من خلال إعادة قراءته قراءات متعددة ومن زوايا مختلفة أيضا.

الكلمات المفتاحية: الاستلزام الحواري، بول جرايس، الأساليب الإنشائية، التداولية، الطواسين.

Abstract:

This research aims at studying the imperative connotations of the constructional methods in Tawasin, using a modern linguistic approach represented in the theory of Conversational Implicature by Paul Grice, and the aim is to confirm the authenticity and richness of our heritage compared to these theories, on the one hand, and on the other hand- more important from my point of view- to emphasize the urgent need to read our heritage using such new tools and approaches and to draw comparisons between the old and the new in order to keep pace with developments and to achieve the desired understanding of our heritage.

This research also studies the imperative and interrogation methods in Tawasin, in order to reveal their imperative connotations, according to the theory of Conversational Implicature and by using the rules set by our scientists for these methods. The research revealed a number of results, the most important of which are: the interrogative style in Tawasin has several meanings such as guidance, seeking help and seeking advice, urging and encouraging, and among the other imperative connotations: supplication, giving advice, and petition, while among the imperative meanings of prohibition are: warning, rebuke and entertainment. The research recommends the need to conduct such studies to reveal the authenticity of our heritage and to develop it by re- reading it multiple readings from multiple angles.

Keywords: Conversational Implicature, Paul Grice, constructional methods, Tawasin.

مقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد، فقد تطور علم اللغة في الفترة الأخيرة تطورًا كبيرًا، وشهد تغييرات وتحولات جذرية في مناهجه، وانبثقت منه عدة مناهج حديثة، كالتداولية والوظيفية والتواصلية، كلها تلتقي عند محور واحد وهو دراسة اللغة في الاستعمال، حيث أصبحت الوظيفة الأساسية للغة هي تحقيق التواصل بين الناس، والتداولية فرع حديث من فروع علم اللغة يدرس اللغة في حال استعمالها، وتمثل نظرية الاستلزام الحواري لبول جرايس Paul Grice قسمًا مهمًا من أقسام التداولية، حيث يركز على دراسة المعنى الضمني، أو ما لم يقله المتكلم.

شغل جرايس بالتساؤل: كيف يقول المتكلم كلامًا وهو يقصد كلاماً آخر؟، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، كيف يستطيع المخاطب فهم مقصد المتكلم وأنه يريد كلامًا آخر غير ما تفوه به؟، مما جعل جرايس يضع نظرية الاستلزام الحواري، التي تعد امتداداً لأفكار كل من أوستين وسيرل عن الأفعال الكلامية غير المباشرة، تقوم نظرية جرايس على مبدأ التعاون والذي يتفرع منه أربع قواعد حددها جرايس لضبط الحوار أو المحادثة، وهذه القواعد هي:

أ- قاعدة الكم: وتعني أن يقدم المتكلم الكم المطلوب من المعلومات دون زيادة أو نقص.

ب-قاعدة الكيف: أي أن يقدم المتكلم معلومات صحيحة وصادقة.

ت-قاعدة الملاءمة: أن تكون المساهمة في مجال الحوار وليس خارجه.

ث-قاعدة الطريقة: أن تكون المساهمة واضحة بعيدة عن الغموض، وقرر جرايس أن تحقيق هذه القواعد هو الذي ينتج المعنى الأصلي للحوار، بينما يؤدي الخروج على أحد هذه القواعد إلى توليد معنى آخر يقصده المتكلم ويسمى المعنى الضمني أو المستلزم من المقام، أي أن خرق قواعد مبدأ التعاون هو الذي يولد الاستلزام.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك التقاء بين أفكار جرايس وأفكار علمائنا القدماء عن الكلام عن المعنى الأصلي والمعنى الضمني، مما دعا الباحث إلى اختيار الأساليب الإنشائية في القرآن الكريم لدراستها وفق نظرية الاستلزام الحواري، لبيان أن علماءنا تركوا لنا ثورة معرفية ضخمة تحتاج إلى الكشف عن قيمتها عن طريق دراستها دراسة علمية واعية بما وصل إليه العلم من مناهج حديثة، ولذا تنبع أهمية هذا البحث في محاولته الكشف عن الأفكار والآراء التي سبق إليها علماؤنا، وأعيد صياغتها في مناهج

ونظريات حديثة، دون أن يتبنى الباحث فكرة سبق القدماء للمحدثين في اكتشاف هذه النظرية أو تلك، فالبحث يحاول المزج بين التراث والنظريات اللغوية الحديثة من أجل الكشف عن أصالة تراثنا والإسهام –ولو بجهد متواضع– في محاولة إعادة قراءته وفق المناهج الحديثة حتى نواكب حركة التطور من حولنا، ولذا يهدف هذا البحث إلى محاولة دراسة الأساليب الإنشائية في القرآن الكريم باستخدام أدوات لغوية حديثة، وهي نظرية الاستلزام الحواري، للكشف عن غنى تراثنا وحاجته لمثل هذه الدارسات التي تدرسه بمناهج حديثة حتي نواكب تطور العصر من حولنا، وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج التداولي في بيان الدلالات المستلزمة للأساليب الإنشائية في الطواسين.

ويتكون بناء هذا البحث من مقدمة مصحوبة بثلاثة مباحث وخاتمة فمصادر البحث، وذلك كالآتي:

المبحث الأول: الأساليب الإنشائية في اللغة العربية: تكلمت فيه عن الأساليب الإنشائية، وأساس تقسيمها إلى خبرية وإنشائية، وفق معيار الصدق والكذب، ثم تحدثت عن تقسيم الأسلوب الإنشائي إلى طلبي وغير طلبي، وذكرت أقسام الإنشاء الطلبي الخمسة، وشروط كل قسم، وكيف يؤدي كل قسم معناه الحرفي، وكيف يخرج إلى معان أخرى مستلزمة من السياق.

المبحث الثاني: نظرية الاستلزام الحواري عند جرايس: وضحت فيه مفهوم الاستلزام الحواري، والفرق بين المعنى الحرفي والمعنى الضمني، وعرضت لمبدأ التعاون وقواعده الفرعية، وكيفية إنتاج الاستلزام الحواري من خلال خرق هذه القواعد، ثم فائدة الاستلزام الحواري وأهميته في بناء تواصل ناجح بين المتكلمين.

المبحث الثالث: الدلالات المستلزمة للأساليب الإنشائية في الطواسين: هذا المبحث مبحث تطبيقي على ثلاث سور من القرآن الكريم هي المعروفة بالطواسين؛ وهي سور الشعراء والنمل والقصص، والهدف منه تطبيق معطيات نظرية الاستلزام الحواري على الأساليب الإنشائية في هذه السور لبيان دلالاتها الاستلزامية، وقسمت هذا المبحث ثلاثة مطالب، هي:

المطلب الأول: الدلالات المستلزمة للاستفهام في الطواسين: بينت في هذا المطلب الدلالات الاستلزامية لأسلوب الاستفهام، معتمدا على أقوال المفسرين في الوصول لهذه المعاني التي خرج الاستفهام عن معناه الأصلي إليها.

المطلب الثاني: الدلالات المستلزمة للأمر في الطواسين: درست فيه الدلالات الاستلزامية التي دل عليها أسلوب الأمر، ومنها: الدعاء، والنصح والإرشاد، والالتماس، والتعجيز، والمشورة.

المطلب الثالث: الدلالات المستلزمة للنهي في الطواسين: درست في هذا المطلب الدلالات الاستلزامية التي دل عليها أسلوب النهي، ومنها: التحذير، والتوبيخ، والنصح والإرشاد.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث والتوصيات التي يوصي بها، **ثم قائمة المصادر والمراجع.**

المبحث الأول: الأساليب الإنشائية في اللغة العربية

يحاول الباحث في هذا المبحث إلقاء الضوء على الأسلوب الإنشائي، من حيث تعريفه وأقسامه–في الحدود التي تخدم فكرة البحث دونما توسع في ذلك– حيث قسم علماؤنا الأسلوب إلى قسمين؛ باعتبار الصدق والكذب [١] وهما:

أ– الأسلوب الخبري: وهو ما يحتمل الصدق والكذب، فيصح أن تقول لقائله إنه صادق، إذا طابق كلامه الواقع، وإنه كاذب، إذا لم يطابق كلامه الواقع.

ب–الأسلوب الإنشائي: وهو ما لا يحتمل الصدق والكذب [٢]، لعدم تحقق مدلوله في الخارج وتوقفه على النطق به.

وهذا القسم ينقسم إلى قسمين:

١– إنشاء طلبي: وهو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، وأشهر أنواعه خمسة هي: الاستفهام والأمر، والنهي، والنداء والتمني [٣].

٢– إنشاء غير طلبي [٤]: وهو ما لا يستدعي مطلوباً ليس حاصلا وقت الطلب، ومنه أفعال المقاربة والتعجب والمدح والذم والقسم وصيغ العقود [٥].

من خلال تعريف الإنشاء الطلبي، يمكن أن نستنتج له شرطين هما:

١– الطلب يجب أن يشتمل على تصور للأشياء في الخارج دون الحكم بأمر على أمر.

٢– الطلب يستدعي مطلوبا لا يكون حاصلا وقت الطلب.

ولما كان هذا البحث مقتصرا على دراسة الإنشاء الطلبي فقط، لذا سنعرض هنا لأقسام الإنشاء الطلبي، ونحاول رصد الشروط التي حددها العلماء –وبخاصة البلاغيون– لكل قسم منها، وبداية نشير إلى أن العلماء أشاروا إلى نوعين من الطلب هما:

النوع الأول: ممكن الحصول، وهو ما يستدعي مطلوباً ممكن الحصول وهو الاستفهام والنهي والأمر النداء، والاستفهام لطلب الحصول في الذهن، والأمر والنداء

(١) عدم احتمال الإنشاء للصدق والكذب هو بالنظر إلى الأسلوب ذاته بغض النظر عما يستلزمه، علم المعاني، ص٧٠.

(٢) تقسيم علمائنا القدماء الأسلوب باعتبار الصدق والكذب، يتفق مع ما ذهب إليه أوستين في تقسيمه الجمل إلى خبرية وإنشائية باعتبار الصدق والكذب أيضًا، ثم عدّل هذا الرأي وتوصل إلى نظرية الأفعال الكلامية، مما يدل على تقاطع كثير من آراء علمائنا مع ما جاءت به التداولية، وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين الغربيين أنفسهم وهو الباحث الفرنسي بيار لارشي الذي بيّن الجوانب التداولية في كثير من العلوم العربية، كالبلاغة وعلوم الفقه وأصوله والمنطق وعلم الكلام، وبرهن على البعد التداولي في التفكير اللغوي في الحضارة العربية الإسلامية، مما يدل على غنى هذا التراث وعظمته وحاجته إلى قراءات جديدة، وفقا لما توصل إليه العلم الحديث، ينظر: تداولية قبل التداولية، ضمن كتاب إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ص ٤٩٩ فما بعدها.

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج٣٥/١، أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني، ص١٠٧، علم المعاني، ص٧٠، منهم من جعلها تسعة أقسام فأضاف الدعاء والتحضيض والعرض والترج إلى الخمسة الأقسام التي ذكرتها، ولكن هذه أشهر الأنواع وأكثرها دورانا في اللغة، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص ١٤.

(٤) لم يهتم البلاغيون بهذا القسم في كتبهم لقلة المباحث المتعلقة به، ولأن أكثر أنواعه أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء، في حين اهتم به النحويون وعقدوا لبعضه أبواباً خاصة، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص ص١٣–١٤، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، ص ٢٤٩ هامش ٢.

(٥) الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص١٣، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع ص ٢٤٩.

لطلب الحصول من الخارج على جهة الثبوت، وطلب انتفاء الحصول في الخارج يكون في النهي.

والنوع الثاني: ممتنع الحصول وهو التمني.

والرسم الآتي يلخص ما سبق [1]:

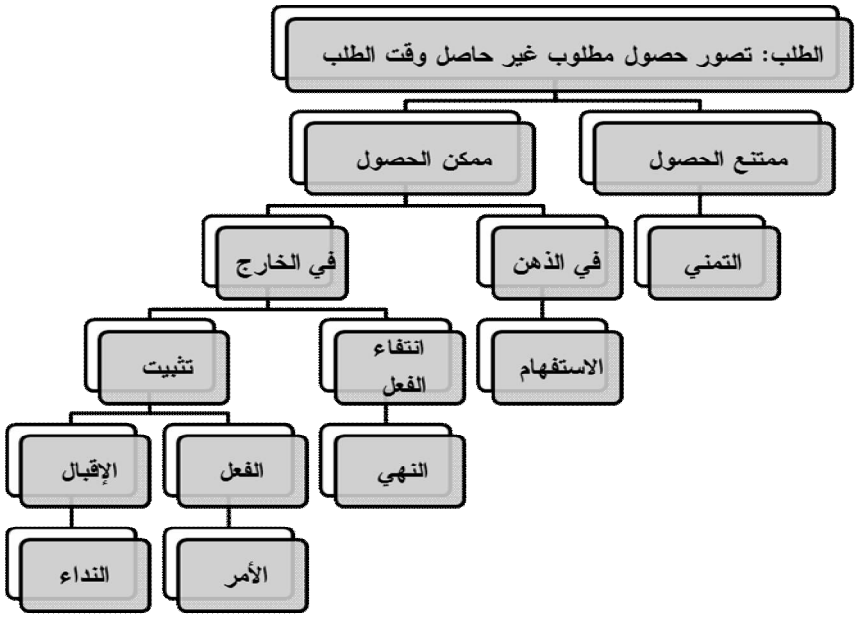

لقد وضع البلاغيون للإنشاء الطلبي بأقسامه الخمسة شروطاً وضوابط إذا تم الالتزام بها أو إذا تم إجراؤها على أصلها بتعبير البلاغيين، دللت على معانيها الأصلية، وقد تخرج هذه الأقسام إلى معان فرعية (الدلالات الاستلزامية) إذا لم يتم إجراؤها على الأصل، فتدل على أغراض فرعية بحسب القرائن والسياقات التي تستخدم فيها.

وفيما يأتي نذكر شروط كل قسم من أقسام الإنشاء الطلبي، والتي يتم من خلالها إجراء هذا القسم على أصله، والتي أيضًا إن تم خرقها خرج إلى معان أخرى مستلزمة حواريًا، وهذه الأقسام هي:

أولًا- الاستفهام: وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة خاصة، منها ما يكون لطلب التصديق، وهو إدراك النسبة، أي تعيينها (طلب حصول نسبة بين شيئين أي له طرفان) وأداته "هل" فقط، مثل: هل حصل الانطلاق؟، ومنها ما يكون لطلب

(١) مظاهر التداولية ص١٤٧.

التصور؛ وهو إدراك المفرد، أي تعيينه، يعني طلب حصول صورة الشيء في الذهن بسيطا أي له طرف واحد، وأدواته بقية الأدوات كـ(متى وأيان وكيف وأين وأنى وكم وأيّ ومَن)، فهذه لطلب التصور فقط، ما عدا الهمزة التي تصلح للأمرين؛ طلب التصديق وطلب التصور [١].

بحسب تعريف الاستفهام السابق، يمكن أن نحدد الشروط التي يجري وفقها الاستفهام على أصله، وهي:

١- طلب حصول شيء في الذهن.

٢- إمكان حصول هذا الشيء على سبيل التصور أو التصديق.

٣- أن يريد المتكلم حقيقة الاستفهام ويعنيه أمر المستفهَم عنه.

ومن ثم فلا بد من توافر ثلاثة عناصر في الاستفهام تمثل آليات إجرائه على أصله، هي:

عنصر الزمان: أي أن يكون الاستفهام في المستقبل

عنصر الإمكان: أن يكون في إمكان المسئول الإجابة عن سؤال السائل.

عنصر الإرادة: أن يريد المستفهِم حقيقة الاستفهام، ويعنيه أمر المستفهَم عنه [٢].

فإذا جرى الاستفهام بهذه الشروط أفاد معناه الأصلي وهو الاستفهام، مثل: هل حضر محمد؟ أجاء زيد؟ ... إلخ، أما إذا حدث خرق لهذه الشروط خرج الاستفهام إلى أغراض أخرى فرعية غير الاستفهام، كالاستبطاء، مثل: كم دعوتك؟ فالمتكلم هنا لا يريد حقيقة الاستفهام، ومن ثمَّ يفهم السامع أنه يقصد استبطاءه في إجابة دعوته، من خلال قرينة تكرار الدعوة، والتعجب مثل: "ما لي لا أرى الهدهد"[٣] إلى غير ذلك من الأغراض [٤].

وإذا أردنا أن نعيد قراءة أسلوب الاستفهام قراءة تداولية يمكننا القول إن الاستفهام له معنيان؛ معنى أصلي: وهو الاستفهام إذا جرى على شروطه، ومعنى ضمني (مستلزم

(١) علم المعاني، ص ٨٨ فما بعدها، أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني، ص١١٨، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج١٥٨/٣، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص٧٨، الفرق بين التصور والتصديق أن التصور إدراك للمفرد أو لأحد أجزاء الجملة (المسند أو المسند إليه) أو أحد متعلقات الجملة، حيث يتم السؤال عن شيء معين وتكون الإجابة هي تعيين هذا الشيء وتحديده، مثل: أزيد أم عمرو قائم؟ ويكون الجواب تحديد من القائم، أما التصديق فهو إدراك نسبة الشيء نفيًا أو إثباتًا، مثل: هل حضر محمد، ويكون الجواب بنعم أو لا، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي ١٥٠ وما بعدها.

(٢)، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي ص ١٤٩، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ص ٣٣.

(٣) النمل، آية ٢٠.

(٤) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، ص٢٥٩ وما بعدها.

من السياق): إذا تم الإخلال بأحد هذه الشروط[١]، والسياق هو الذي يحدد الغرض الذي يفيده الاستفهام في حالة عدم إجرائه على أصله.

ثانيًا– الأمر: "وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام"[٢]، وله صيغ معروفة يتم بها وهي أربع صيغ: فعل الأمر، المضارع المقترن بلام الأمر، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر.

ويمكن تحديد شروط إجراء أسلوب الأمر على أصله، كما يأتي:

١. طلب حصول شيء في الخارج.
٢. هذا الشيء ممكن الحصول.
٣. الطالب أعلى منزلة من المطلوب منه[٣].

وبتعبير اللسانيات التداولية فإن أسلوب الأمر له معنيان:

أ– معنى أصلي وهو الأمر إذا تم بالشروط السابقة.

ب–معنى فرعي (ضمني/ مستلزم من السياق)، إذا تم الإخلال بأحد الشروط السابقة.

ومثال ذلك، قولك لمن شتمك، اشتمني، حيث إنك لا تريد طلب الشتم، ومن ثم يفهم أنك أردت التهديد، من خلال الخروج على شروط الأمر.

ثالثًا– النهي[٤]: ومعناه "طلب الكفِّ عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام"[٥]، وله صيغة واحدة فقط هي المضارع المقرون بـــ "لا" الناهية الجازمة، مثل: لا تفعلْ هذا، ومن ثم يختلف النهي عن الأمر في أن النهي طلب عدم حصول تصور في الخارج (طلب نفي حصول التصور)، في حين أن الأمر طلب الحصول، أو بمعنى آخر الأمر إثبات أو إيجاب الحصول، أما النهي فانتفاء الحصول (سلب)، ومما

---

(١) وهذا الذي أشار إليه علماؤنا القدماء، وبخاصة البلاغيون، حيث أشاروا إلى خروج هذه الأساليب إلى معان أخرى إذا لم تجر على الأصل، ومن ذلك ما جاء في بغية الإيضاح على لسان السكاكي يقول:" ثم هذه الألفاظ (يقصد أدوات الاستفهام) كثيراً ما تستعمل في معان غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام"، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص ٢٥٩–٢٦٠.

(٢) علم المعاني، ص٨٣، أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني، ص١١٠، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص٧١، وفي الطراز" وهو صيغة تستدعى الفعل، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء"، فجعله صيغة أو قول وكأنه يريد أن يجعله عاما، يصلح للعربية وغيرها من اللغات، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج١٥٥/٣،

(٣) اختلفت نظرة البلاغيين والأصوليين واللغويين في دراسة الأمر، فكل فريق ينظر إلى المسألة من زاوية اهتمامه، فالبلاغيون اهتموا بالجانب البياني والبلاغي فدرسوا الأغراض التي يفيدها أسلوب الأمر، بينما اهتم الأصوليون بما يترتب على الأمر من إيجاب للتنفيذ، لما يترتب عليه من ثواب إن امتثل الأمر أو عقاب إن خالف الأمر، واهتم اللغويون بالصيغة التي يؤدى بها الأمر وجعلوه في مقابل الماضي والمضارع ولو لم يكن على جهة الاستعلاء، بغية الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، ص ٢٦٩، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص٤٤.

(٤) اختلفت وجهة نظر البلاغيين والأصوليين والنحويين للنهي، حسب زاوية اهتمام كل فريق، فالبلاغيون مهتمون بالجانب الفني البياني فذكروا خروج النهي إلى أغراض بلاغية حسب مقامات وردوده، واهتم الأصوليون بالحكم الشرعي فحددوا النهي بأنه "القول المقتضي ترك الفعل"، واتفق الثلاثة على صيغة النهي، واتفق الأصوليون مع البلاغيين في خروج النهي إلى معان مستلزمة حسب السياق وحدودها في سبعة معان هي: التحريم والكراهية والإرشاد والدعاء وبيان العاقبة وإثبات اليأس والتحقير، حسب تعدد الصياغات، والقرائن المقيدة لها، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ص٥١ وما بعدها.

(٥) علم المعاني، ص٨٣، أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني، ص١١٦، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج١٥٦/٣، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص٧٦.

سبق يمكن صياغة شروط إجراء النهي على أصله –أي يكون معناه النهي– على النحو الآتي:

١– يكون بأداة النهي الجازمة مع الفعل المضارع، لطلب انتفاء تصور في الخارج بصيغة النهي.

٢– يكون المطلوب انتفاؤه غير حاصل وقت الطلب، بأن يكون في المستقبل أو الحاضر.

٣– يكون المتكلم أعلى مكانة من المستمع.

وعلى هذا فالنهي مثله مثل أي أسلوب إنشائي آخر، يكون له معنيان:

أ– معنى أصلي: وهو النهي إذا توافرت فيه شروط إجراء أسلوب النهي.

ب–معنى فرعي (معنى ضمني): إذا تم الإخلال بأحد هذه الشروط، فيخرج النهي عن معناه الأصلي "لتأدية أغراض تواصلية مختلفة كالدعاء والالتماس والتهديد والخبر"(١)، ويوضح هذه الأغراض سياق الاستعمال (٢).

ومن ثم إذا استخدمنا النهي حسب شروطه –التي ذكرناها آنفا– كان إجراء النهي على حسب هذه الشروط هو الأصل، وإذ خرجنا عن الإجراء على حسب الأصل بخرق أحد هذه الشروط، وصلنا إلى المعنى المستلزم من السياق، أو الأغراض البلاغية، أو المعاني الثواني على حد تعبير البلاغيين، ومن هذه المعاني(٣)، الدعاء كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾(٤)، والالتماس، مثل: قولك لمن يساويك في المنزلة، لا تفعل، والتيئيس، كقوله تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا﴾(٥)، والتهديد، كقولك لمن لا يمتثل أمرك: لا تمتثل أمري، والتحقير، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾(٦)، والإرشاد، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾(٧).

رابعًا– النداء: معنى النداء" التصويت بالمنادى لإقباله عليك"(٨)، أي طلب إقبال المدعو، وحروفه يا أو إحدى أخواتها، وهي تقوم مقال الفعل "أدعو"، ونداء القريب يكون

(١) مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي ص ١٥٤.

(٢) بغية الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، ص٢٧٢.

(٣) الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص ١٥–١٦.

(٤) آل عمران، الآية ٨.

(٥) التحريم، الآية ٧.

(٦) طه، الآية ١٣١.

(٧) الإسراء، الآية ٣٦.

(٨) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج١٦١/٣.

بالهمزة أو أي، والبعيد بغيرهما، ومن خلال ما سبق يمكن تحديد شروط إجراء النداء على أصله على النحو الآتي:

١. طلب إقبال المدعو (المخاطَب).
٢. بأداة نداء للقريب (الهمزة، أي)
٣. بأداة نداء للبعيد (بقية الأدوات) [١].

ويكون النداء مفيدًا معناه الأصلي –وهو دعوة المخاطب للمجيء إليك– إذا توافرت فيه الشروط السابقة، وإذا تم خرق أحد هذه الشروط أفاد النداء معنى مستلزما سياقياً، وهذا الخرق يكون مثلا بعدم قصد الإقبال أو استخدام أداة نداء للقريب لمناداة البعيد أو العكس، ومن هذه المعاني المستلزمة، الإغراء والاستغاثة والتعجب والتوجع [٢].

خامسًا– التمني: "وهو عبارة عن توقع أمر محبوب في المستقبل"[٣]، هذا الأمر –في الغالب– ممتنع الوقوع أو بعيد الوقوع، فالتمني يكون في الممكن وغير الممكن، ومن ثم لا يشترط في التمني الإمكان [٤]، ولذا فشرط التمني الذي يجربه على أصله هو "أن يكون التمني غير متوقع حصوله بالنسبة للمتكلم أو ممكن الحصول في المستقبل البعيد، وأن يكون التمني متعلقا بالمستقبل"[٥]، والأداة الموضوعة له هي ليت وقد يأتي بغيرها كـ(هل)، ومن خلال ما سبق يمكن وضع شروط لإجراء التمني على أصله، وذلك كما يأتي:

١– طلب شيء ممتنع الحصول.
٢– طلب شيء بعيد الحصول.
٣– الطلب يكون في المستقبل.
٤– المتكلم يعتقد عدم تحقق طلبه أو بُعْد تحققه.

وبتعبير اللسانيات التداولية فإن التمني له معنيان:

أ– المعنى الحرفي/ الأصلي: وهو التمني إذا جرى على أصله.

ب–المعني المستلزم سياقياً: إذا تم خرق شروط التمني، فيستخدم التمني في غير ما وضع له، ويخرج إلى معاني أخرى تستلزم من السياق، كالندم والتحسر...إلخ [٦].

---

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، ص ٢٧٤، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص٨٩.
(٢) الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص ١٨، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، ص ١٥٤.
(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج٣/١٦٠، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص٨٧.
(٤) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، ص ٢٤٩ وما بعدها.
(٥) مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، ص ١٤٨.
(٦) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، ص ٢٧٤.

المبحث الثاني: الاستلزام الحواري، مفهومه وقواعده

يروم البحث في هذا المبحث الوقوف على مفهوم نظرية الاستلزام الحواري وقواعدها عند بول جرايسPaul Grice ، وسأبين ذلك من خلال العرض الآتي:

أولًا– مفهوم الاستلزام الحواري: يعد الاستلزام الحواري[١] من الركائز الأساسية التي تقوم عليها اللسانيات التداولية، وقد بدأ هذا المصطلح مع اللغوي بول جرايس، الذي كان مشغولًا بدراسة المعنى، ومهتما بدراسة السياق للوصول إلى المعنى، حيث لاحظ جرايس" أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال What is said، وما يقصد What is meant، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية face values، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامعَ على نحو غير مباشر، اعتمادًا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال، ووسائل الاستدلال"[٢]، والتداولية بوجه عام" مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم، أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة"[٣]، وبعبارة أخرى فإن معنى كثير من العبارات لا يتوقف على مكوناتها التركيبية فقط، وإنما هذه الجمل تعطينا معاني أخرى لا تدل عليها مكوناتها التركيبية إذا ربطناها بالسياق[٤] الذي أنجزت فيه، ومن ثمَّ فكر جرايس في طريقة للوصول إلى هذه المعاني التي تفهم من السياق، أي أن الجملة يكون لها معنيان:

١. المعنى الحرفي الذي تدل عليه الجملة بمكوناتها وتركيبها.

٢. معنى آخر يفهم من السياق الذي تنجز فيه الجملة، ويمكن تسميته "المعنى الضمني"

ركز جرايس جهوده في كيفية وضع طريقة للوصول إلى "المعنى الضمني" المستلزم حوارياً، فاقترح مفهوم الاستلزام الحواري Conversation implication، بهدف الوصول إلى المعنى غير المباشر (الضمني) الذي يقصده المتكلم، إذن مبدأ الاستلزام الحواري هو مبدأ يهدف إلى الوصول إلى المعنى غير المباشر (الضمني أو المستلزم) الذي يريد المتكلم توصيله للمستمع، من خلال تقديم آلية معينة للمستمع تجعله يتجاوز

(١) يقابل مفهوم الاستلزام الحواري، مصطلحات تراثية مثل: الأغراض التي تؤديها الأساليب، المعنى الضمني والمعنى المقامي، المعنى الحرفي، دلالة المفهوم"، ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص٢٥.

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٣٣ وما بعدها، علم اللغة الحديث، ص٣٤٩ وما بعدها.

(٣) التداولية، ص١٩.

(٤) من التعريفات التي ذكرها جورج يول للتداولية أنها تعني دراسة المعنى السياقي، التداولية، ص١٩، ولمزيد من التفصيل يمكن مراجعة التعريفات التي عرضها بيتر ارنست في كتابه علم اللغة البرجماتي، الأسس، التطبيقات، المشكلات، ص٣١-٣٦.

المعنى الحرفي للجملة إلى المعنى الآخر (الضمني الذي يقصده المتكلم)[١]، مما يعني أن المتكلمين يعتمدون على " عدد كبير من الافتراضات والتوقعات المشتركة حين يحاولون التواصل مع الآخرين، وتوفر دراسة تلك الافتراضات والتوقعات الكيفية التي نفهم بها أكثر مما يتضمنه منطوق العبارات وحسب"[٢]، ومن خلال ما سبق يمكن تعريف الاستلزام الحواري بأنه مبدأ من مبادئ التداولية هدفه الكشف عن المعاني الضمنية للكلام، نتيجة خرق أحد قواعد الحوار، مع الالتزام بتطبيق مبدأ التعاون بين المتكلمين.

ثانيًا-المضمون القضوي والمضمون السياقي:

وبناء على ما سبق يمكن القول إن جرايس، يفرق بين ضربين من المعاني أو الدلالات هما:

١. الدلالة الطبيعية: وهي التي تفيدها الجملة بمكوناتها وتركيبها، وهي ما يسمي (المعنى الحرفي/ الدلالة الأصلية)، وهذه ثابته لا تتغير، وهي المضمون القضوي أو اللغوي للجملة.

٢. الدلالة غير الطبيعية: "إن مفهوم الدلالة غير الطبيعية يتوقع أن لا يختزل دائما تفسير الملفوظ في الدلالة اللسانية المواضعية للجملة المقابلة؛ لذلك هناك فرق بين ما يقال(الدلالة المواضعية للجملة) وبين ما يجري نقله أو إيصاله (تفسير الملفوظ)، إذا كانت الدلالة هي ما يقال، فإن الاستلزام هو ما يُوصل، بحيث إن نسبة ما يتم نقله تختلف عما يقال"[٣]، أي أن هناك فجوة بين ما يقال، وما يراد توصيله، ويَعِد جرايس -من خلال نظرية الاستلزام الحواري- بسد هذه الفجوة[٤]، ومجمل القول إن هذه الدلالة الثانية دلالة سياقية، وهي الدلالة التي تفهم من خلال سياق إنجاز جملة أو منطوق ما،" وهو ما يعني أن معناه(المنطوق) لا يحدده النظام اللغوي الأساسي والكفاءة اللغوية للمتكلم فقط، بل السياق الموقفي أيضا، وأبنية الشخصية للمتكلم/السامع، وأدوارهما، وتوقعاتهما، وأحوالهما النفسية..إلخ"[٥]، ولذا " تنظر التداولية إلى السياق نظرة واسعة، حيث يشير السياق إلى أي عامل- لغوي، معرفي، فيزيائي، اجتماعي... إلخ- يؤثر على التفسير الفعلي للعلامات

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٣٤، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص١٧ وما بعدها

(٢) دراسة اللغة، ص١٨٠.

(٣) قاموس التداولية، ص١٣٣.

(٤) Pragmatics,p٩٨.

(٥) مدخل إلى علم اللغة، هايدرون بلتس، ص٢٩٤.

والتعبيرات"[١]، ومن ثم فهذه الدلالة متعددة تعدد السياقات المختلفة التي تنجز فيها الجملة، ويمكن أن أسميها الدلالة القصدية[٢].

ويحددها "جرايس" تحديدًا سليمًا بأنه ما يبقي بعد طرح "ما يقال من جملة ما يبلغ"[٣]، ولنأخذ مثالا هذا الحوار بين شخص (أ) الذي تعطلت سيارته في الطريق وبين الشخص (ب):

أ- لقد نفد مني الوقود.

ب- يوجد مستودع في زاوية الطريق.

يمكننا الحصول على المضمون القضوي للجملة إذا فسرنا كل جملة على حدة دون ربطها بالسياق الذي قيلت فيه، وهذا هو المقصود بالدلالة الحرفية.

أما إذا ربطنا هذا الحوار بالمقام الذي أنجز فيه فيمكننا الوقوف على تفسيرات متعددة له، هي ما يراد إيصاله، وهذا هو المقصود بالمضمون السياقي أو المعنى الضمني، ولنأخذ بعض هذه التفسيرات:

الأول: إذا اعتبرنا أن الحوار تم بين شخصين ليس بينهما معرفة سابقة، أمكننا تفسير قول (أ) على أنه طلب إرشاد، فهو يقصد أن يرشده إلى مكان لملء خزان السيارة الذي نفد، ويكون جواب (ب) هو تلبية لهذا الطلب.

الثاني: إذا تم هذا الحوار بين جارين صديقين، وكان (أ) تعود أخذ الوقود من (ب)، أمكننا -بحسب هذا المقام- تفسير قول (أ) على أنه طلب اقتراض وقود، ويكون جواب (ب) هو رفض لهذا الطلب.

ومن ثم فهناك معنى ضمني يتم الانتقال إليه من المعنى الحرفي، ولكن كيف يتم ذلك؟

ثالثًا-قواعد جرايس للوصول إلى المعنى الضمني:

نظر جرايس إلى الكلام على أنه نوع من السلوك القصدي والمعقول[٤]، ومن ثم افترض أن السلوك اللغوي شأنه شأن السلوك الإنساني القصدي أو السلوك الاجتماعي يحكمه مبدأ التعاون، ومن ثم عد جرايس المحادثة" شكلًا لفعل تعاوني، ففي تعاون يعمل

(١) Intercultural pragmatics, p١٢٨.

(٢) اهتم علماء الأصول باستنباط المقاصد الخطابية، وانشغلوا بدلالة الخطاب والمقام وقرائنه للوصول للقصد، وجعلوا للقصد درجات هي: القصد القطعي، والقصد الترجيحي، والقصد الظني، وحددوا له ضوابط، مما جعل بعض الباحثين يعد عملهم نظرية متكاملة سماها نظرية المقاصد، وتجدر الإشارة إلى هذا الجهد العظيم، والإشادة به حيث يتقاطع في كثير من أفكاره مع ما وصلت إليه التداولية اليوم، علم اللسان تأصيل المنهج العربي في البحث والتحليل، ص٥٥١-٥٦٣.

(٣) مفاهيم دلالية ولسانية لوصف العربية، ص٤٩٣

(٤) المنطق والمحادثة ضمن كتاب إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ج٦٢١/٢، مفاهيم دلالية ولسانية لوصف العربية، ص٤٩٢

فردان أو أكثر معا للوصول إلى هدف مشترك بأن يوجهوا أفعالهم نحو هذا الهدف، والهدف المشترك هو ما يقال مبدأ لسلوك الأفراد، فهم متعاونون حين يسهمون بسلوكهم في الوصول إلى الهدف، وغير متعاونين حين يخل سلوكهم بالوصول للهدف"(١)، فالحوار الذي يدور بين طرفين يشبه العلاقة بين صاحب سيارة متعطلة يريد من ميكانيكي أن يصلحها، إن ما يتم بين صاحب السيارة والميكانيكي من اتفاقات والتزامات يقوم بها كل طرف هي نوع من التعاون بين الطرفين لإنجاح العلاقة الاجتماعية، وبدون هذا التعاون ووفاء كل طرف بما عليه لا ينجح الأمر، وكذلك الحوار بين متكلمين لا بد أن يقوم على مبدأ التعاون الذي اقترحه جرايس، حيث اعتقد جرايس أنه يجري بين المتحاورين تعاون مع بعضهم البعض من أجل إنجاح الحوار بينهم وتسهيل التواصل اللغوي، ومضمون هذا المبدأ" لتكن مساهمتك في المحادثة موافقة لما يتطلبه منك–في المرحلة التي يجري فيها– ما تم ارتضاؤه من أهداف أو وجهة للمحاورة التي اشتركت فيها"(٢)، وبعبارة أخرى، يعني مبدأ التعاون أن يسهم كل طرف بما يتطلبه منه الحوار بحيث يحقق الهدف من هذا الحوار، أي أن كل طرف يقدم مساهمات ضرورية وصادقة ومناسبة للحوار، " وبدون مبدأ التعاون لن يكون التواصل ممكنا"(٣)، وقد جعل جرايس هذا المبدأ مبدأً عاما، ثم ميَّز أربع قواعد أساسية أو عليا، وفرَّع من كل قاعدة مبادئ ثانوية أو فرعية، ويمكن عرض ذلك كالآتي(٤):

١– **قاعدة الكم maxim of quantity**: تهتم هذه القاعدة بكمية المعلومات التي ينبغي توفيرها، بمعنى أن المتكلم يقدم المعلومات التي تفيد الحوار حسب الضرورة دون زيادة (إطناب) أو نقص(إيجاز)، وجعل جرايس تحت هذه القاعدة العامة قاعدتين فرعيتين هما:

أ–لتكن مساهمتك متوفرة على قدر من المعلومات يساوي ما هو مطلوب.

ب–لا تجعل مساهمتك متوفرة على قدر من المعلومات يفوق ما هو مطلوب.

---

(١) مبادئ ومسارات في الدرس اللغوي الحديث فصول مختارة، ص١٩٢.

(٢) المنطق والمحادثة، ضمن كتاب إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ج٢/٦١٨، التداولية، ص٦٨، النص والخطاب والإجراء، ص٤٩٥، مبادئ ومسارات في الدرس اللغوي الحديث فصول مختارة، ١٩٢.

(٣) Pragmatics: an introduction, p٧٤.

(٤) المنطق والمحادثة ضمن كتاب إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ج٢/٦١٩–٦٢١، علم اللغة البراجماتي، الأسس، التطبيقات، المشكلات، ص١٧٤، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٣٥، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص ٨١ فما بعدها، معالم التداولية في كتاب النظرات للمنفلوطي، ص٢٨٧ فما بعدها، التداولية بين النظرية والتطبيق، ٢١٢ فما بعدها، لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، ص١٠٨،

٢- **قاعدة الكيف maxim of quality:** تهتم هذه القاعدة بصدق المعلومات التي تقدم وموثوقيتها، ويمثلها القاعدة العليا الآتية: (لتكن مساهمتك في هذا الموضوع صادقة)، ويتفرع منها القاعدتان الآتيتان:

أ- لا تقل ما تعتقد أنه كاذب

ب- لا تقل ما تفتقر الحجة الكافية عليه

٣- **قاعدة الملاءمة (المناسبة)maxim of relation** : ويمثلها قاعدة عامة وحيدة هي " قل ما له صلة بالموضوع"

٤- **قاعدة الطريقة أو الأسلوبmaxim of manner** : تهتم هذه القاعدة بالوضوح في التعبير، وجعل لها جرايس قاعدة عليا هي" لتكن واضحا"، وتحتها عدة قواعد فرعية منها:

أ- تجنب غموض العبارة.

ب- تجنب اللبس.

ت- أوجز.

ث- كن منظمًا.

هذه القواعد هي" مجموعة من الافتراضات الشاملة التي توجه إجراء المحادثة، وتنشأ من الاعتبارات العقلانية الأساسية، ويمكن صياغتها كمبادئ توجيهية للاستخدام الفعال للغة في المحادثة، فهي مبادئ عامة يقوم عليها الاستخدام التعاوني الفعال للغة"[١]، ومن ثم فهي أمثلة على مبدأ تعاوني واحد، بحسب جرايس، ولكي يكون الحوار ناجحا يجب على المتكلمين احترام مبدأ التعاون، لتحقيق تواصل لغوي فعال، وأن أي خرق لقواعد مبدأ التعاون ينتج عنه معنى إضافي هو المسمى الاستلزام الحواري، ومن ثم ينتج الاستلزام الحواري نتيجة خرق أحد قواعد مبدأ التعاون [٢].

والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف يقوم المتكلم بإيصال المعنى الضمني للمستمع؟ أو ما الآلية التي يتم بها ذلك؟، "عند الوصول إلى المعاني الضمنية للمحادثة، اقترح جرايس أننا نفترض أن المشاركين بشكل عام سوف يلتزمون بمبدأ تعاوني ومبادئ المحادثة المصاحبة له(الكم والكيف والمناسبة والطريقة)، وعندما يتم الاستهزاء بهذه المبادئ يتم إنشاء الآثار الضمنية للمحادثة، ومع ذلك وبسبب افتراض التعاون سيبحث المستمعون

(١) Pragmatics, p١٠١.

(٢) Pragmatics: an introduction, p٧٢.

عن معنى يتجاوز الكلمات المنطوقة"[١]، ووفقا لجرايس فإن المتكلم إذا أراد إيصال أكثر مما يقوله للمستمع فإنه يقوم بخرق إحدى قواعد مبدأ التعاون، ومن ثم يفهم المستمع أن المتكلم يريد أن يوصل له معنى آخر غير المعنى الحرفي للجملة، بالإضافة لمراعاة المقام والخلفيات الثقافية والمعرفية المشتركة بينه وبين المتكلم.

رابعًا-الاستلزام الحواري والتواصل اللغوي: لقد أراد جرايس- بوضعه هذه المبادئ- أن يضع قواعد تداولية للمحادثة، يتم على ضوئها فهم الحوار أو المحادثة، والوصول إلى المعنى الحقيقي وفقا لهذه القواعد، ومن ثم يعد مبدأ الاستلزام الحواري من المبادئ المهمة في التداولية لفهم الحوار والتواصل اللغوي السليم، ومن ثم تتضح أهمية مبدأ الاستلزام الحواري في عملية التواصل اللغوي، حيث نستطيع عن طريق اتباع هذا المبدأ تفسير المحادثات العادية، إذا التزم المتكلمون بمبدأ التعاون، فمثلا في الحوار الآتي بين زوج وزوجة:

- الزوج: أين مفاتيح السيارة؟
- الزوجة: على المائدة.

تم التزام مبدأ التعاون وقواعده في هذه المحادثة، فالزوجة أجابت على قدر السؤال دون زيادة أو نقصان(قاعدة الكم)، وكانت صادقة(قاعدة الكيف)، وإجابتها ملائمة للسؤال(قاعدة المناسبة)، وإجابتها واضحة(قاعدة الطريقة)، ومن ثم لا يوجد أي استلزام حواري في كلامها لأنها قصدت ما قالته[٢]، وتظهر أهمية الاستلزام الحواري كذلك في تفسير الأقوال غير المباشرة، إذا تم خرق أحد هذه المبادئ بشكل متعمد لإبلاغ المخاطب استلزاما محادثيا، حيث يدرك المخاطَب اليقظ هذا الانتهاك لمبادئ الحوار، ويسعى إلى الوصول إلى هدف المتكلم من هذا الانتهاك [٣]، فعن طريق الاستلزام الحواري نفهم المعاني الضمنية التي يريد المتكلم إيصالها، ومن ثم فيمكننا فهم المحادثات/الحوارات وبناء اتصالات لغوية ناجحة وفعالة، وستأتي أمثلة على ذلك في النقطة الآتية.

(١) Pragmatics: An advanced resource book for students. p٣٢.

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ٣٦.

(٣) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ٣٧، مفاهيم دلالية ولسانية لوصف العربية، ص٤٩٦.

خامسًا- خرق قواعد مبدأ التعاون لإيجاد استلزام حواري:

ولنضرب مثالاً نبين فيه كيفية استغلال قواعد مبدأ التعاون لإنشاء استلزام حواري ناجح:

١- **قاعدة الكم:** فيها يلتزم المتكلم بتقديم القدر المطلوب من المعلومات دون زيادة أو نقص، ولكن أحيانا يتم خرق هذه القاعدة، مثال ذلك: في حوار بين زوج (أ) وزوجته (ب) عن أخيها الذي دخل السجن:

أ- أين أخي إنه لم يعد إلى البيت؟

ب-أخوك هو أخوك.

إن الزوج هنا لا يلتزم قاعدة الكم فهو لا يعطي معلومات كافية عن الأخ، وبافتراض أنه متعاون وملتزم بمبدأ التعاون، سوف تستنتج الزوجة أن زوجها يريد أن يبلغها معنى آخر (ضمني)، ومن ثم نتج المعنى الآتي المستلزم حواريًا: أخوك سلوكه غير جيد ولذا تم وضعه في السجن، ومن ثم ساعد الاستلزام الحواري المضمن في الجملة هنا إلى فهم جيد لحوار الزوج.

٢- **قاعدة الصدق:** فيها يقدم المتكلم المعلومات الصحيحة أو التي يمتلك عليها دليلاً، فإذا قال المتكلم كلاما لا يعتقد في صحته أو ليس لديه دليل عليه، يكون قد خرق هذه القاعدة، ومثال ذلك قولك لمن لا يحفظ الأمانة: فلان أمين.

فهنا المتكلم قال كلاما لا يعتقد في صحته، وإذا افترضننا أنه ملتزم بمبدأ التعاون، استنتجنا أنه يريد إيصال معنى ضمني هو الاستهزاء بهذا الشخص.

٣- **قاعدة الملاءمة:** وتعني أن يكون الكلام في موضوع الحوار وليس خارج موضوع الحوار، وإذا قال الشخص (أ) لـــ (ب):

أ- هل تريد فنجانا من القهوة؟

- لدى اختبار الثامنة صباحًا.

إن الشخص(ب) قدم مساهمة خارج موضوع الحوار، فجوابه لا يتعلق بالسؤال، وإذا افترضنا أنه متعاون، ويطبق قواعد المحادثة، فهمنا أنه يريد إيصال معنى آخر مستلزم، غير المعنى الحرفي لجوابه، وهذا المعنى المستلزم هو أنه سينام مبكرًا لأنه يريد الاستيقاظ مبكرًا من أجل الاختبار، ومن ثم فهو يرفض عرض (أ) إعداد فنجال من القهوة له، لأن القهوة بها مواد منبهة وستجعله لا يستطيع النوم.

٤- **قاعدة الطريقة:** وفيها يلتزم المتكلم بالوضوح، وترتيب الأفكار، وتنظيمها ليتم الفهم، ويتجنب الغموض واللبس، ومثال ذلك هذا الحوار بين زوج(س)، وزوجته(ص):

- الزوجة (ص)- هل سنذهب إلى الحديقة في هذه العطلة؟
- الزوج (س)- نعم، بشرط ألا نشتري باء وياء وتاء وزاي وألف مد.

في هذه المحادثة خرق لقاعدة الأسلوب/ الطريقة، فالزوج أجاب إجابة فيها غموض، وإذا افترضنا- بحسب جرايس- أنه متعاون وملتزم بقواعد الحوار، فإنه يريد إيصال معنى آخر عن طريق الاستلزام الحواري، هذا المعنى هو لا نريد أن يفهم الأبناء كلامنا(١).

سادسًا- قدرة المتكلمين على فهم الاستلزام الحواري:

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل كل المخاطبين لديهم القدرة عل فهم هذه المعاني الضمنية (الاستلزام الحواري)؟

والحق أن هناك اختلافات بين المخاطبين في فهم الاستلزام الحواري، تتوقف على الثقافة والخلفية اللغوية والتواصلية للمخاطبين، ومن ثم يختلف الناس في الفهم، فمنهم من يفهم المعنى الضمني ومنهم من يتوقف عند المعنى الظاهر، ومن مَن يستغلق عليه الفهم، لأن" الفهم عملية ذهنية تقوم على المهارة الاستنتاجية التي تستوجب العلم بعلوم اللسان الموصلة لفهم الخطاب والقراءة الجامعة لمحيطه اللغوي والمقامي، ويزداد الفهم بالمران والعلم وسعة الأفق وسرعة البديهة والحضور الذهني"(٢)، ففهم الكلام لا يعتمد فقط على الكفاءة اللغوية بمعنى المعرفة بقواعد اللغة، ولكن لا بد أن " يمتلك المتكلم كفاءة اتصالية، وبتضافرهما فقط يمكن أن يُوضَّح المنطوق اللغوي الفعلي"(٣)، إن المتكلم عندما يستخدم جملة ما في سياق معين يريد أن يحقق مقاصد تواصلية محددة، هذه المقاصد تتحدد من معنى الجملة نفسها من ناحية، ومن تعلقها بالسياق وبغيرها من الجمل في السياق اللغوي من ناحية أخرى، ولذا" يجب أن يكون في الإمكان أن يعيد المتلقي بناءه على النحو ذاته الذي قُصِد من المتكلم، ويعني هذا أن: المتلقي (السامع/ القارئ) يجب أن

---

(١) مفاهيم دلالية ولسانية لوصف العربية، ص ٤٩٩، المقصود بالالتزام بمبدأ التعاون أي الإخلاص من ناحية المتكلم والمخاطب في إنجاح الحوار، عن طريق حرص المتكلم على إبلاغ المخاطب معنى معينا وأن يبذل المخاطب الجهد في سبيل فهم هذا المعنى، دون لجوء أحدهما إلى التضليل أو الخداع أو التلاعب اللغوي، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٣٧.

(٢) علم اللسان، تأصيل المنهج العربي في البحث والتحليل، ص ٥٥٨.

(٣) مدخل إلى علم اللغة، ص٢٩٣، وتكون الكفاءة اللغوية مرتبطة بالكلام المكتوب(الجملة)، والكفاءة الاتصالية مرتبطة بالكلام المنطوق (النطق في موقف اتصال) ، وهذا هو التحول الذي أحدثه أوستين بوجه خاص، وأحدثته التداولية بصفة عامة، وهو" أننا لا يجب أن نبحث الجملة، بل المنطوق في فعل كلامي"، الفعل الكلامي معنى الجملة، حول الصيغة الأساسية البراجماتية للغة الطبيعية، ص٣٧.

يكون قادرا أساسا على فهم التعلق المقصود من المتكلم/ الكاتب، هذا التعلق إذن لا يمكن أن يكون مقصودا على نحو عشوائي، إذ إنه خلاف ذلك قد يغيب أساس ضمان الفهم عن المخاطب في عملية التواصل"(١)، إن اللغة حوار بين متكلم ومستمع، وكل منهما يحاول إفهام الآخر باتباع قواعد الحوار، "معنى ذلك أن الهدف الأساس الذي يرمي إليه المتخاطبان هو خلق تواصل فيما بينهما لأجل إحداث تغيرات في معلوماتهما، وذلك لا يمكن أن يتم إلا بوجود قدرة تواصلية ... تتميز بسمتين أساسيتين:

– أولاهما: كونها قدرة شاملة.

– ثانيهما: كونهما قدرة واحدة لا تتجزأ، بمعنى أن قدرة مستعملي اللغة، لا تنحصر فقط في معرفة القواعد الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، بل تتعداها إلى معرفة قواعد الاستعمال، أي القواعد التي تمكن من أداء عبارات لغوية سليمة وفهمها في مواقف تواصلية معينة، قصد تحقيق أغراض محددة، بالإضافة إلى أن عملية التواصل لا تنهض بها القدرة اللغوية الصرف وحدها، بل تسهم فيها قدرات أخرى منطقية ومعرفية واجتماعية وإدراكية، فمستعمل اللغة يستخدم أثناء عملية التواصل– بالإضافة إلى ملكته اللغوية– ملكات ذات طبيعة غير لغوية تسهم في إنجاح هذه العملية"(٢).

مما يعني أن" القدرة التواصلية هي القدرة الإنسانية الشاملة على فهم الموقف الاتصالي بين أطراف الاتصال في إطار عوامل أخرى؛ كالزمان والمكان والعلاقات الاجتماعية، والعلاقات الخاصة بين أطراف الاتصال (أي الأدوار والأدوار المتوقعة)، ومقاصد هذه الأطراف، والقدرةعلى الفعل"(٣).

وهذه القدرات تنبه لها علماؤنا القدماء، حيث أشاروا إلى قدرة المتكلم ودوره في إنجاز الخطاب، فأشاروا إلى ثلاثة أنماط من القدرة هي:

١– قدرة لغوية: وهي المتعلقة بمعرفة قواعد لغة معينة، وهي معرفة مكتسبة، وقد سماها تشومسكي الكفاية، وهي" معرفة ضمنية باللغة"(٤).

٢– قدرة خطابية: وتقابل الأداء عند تشومسكي، بمعنى" استعمال اللغة في مواقف ملموسة ... والأداء فعل كلامي متحقق، يعني هذا أن الأداء هو طريق الوصول

(١) إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة، ص٢٧.

(٢) الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص٢٢، وقد بيّن الدكتور محمد العبد بيانا شافيا كافيا مصطلح الكفاية وذكر عددا من الأقسام منها: الكفاية اللغوية والكفاية الاتصالية والكفاية النصية والكفاية الدلالية، للتفصيل يرجع إلى النص والخطاب والاتصال، ص١٦ فما بعدها.

(٣) النص والخطاب والاتصال، ص٤٠–٤١.

(٤) النص والخطاب والاتصال، ص٢٤.

إلى الكفاية، فالكفاية لا تدرك إلا من أفعال الأداء اللغوي"[١]، وهي التي تمكن المتكلم من إنجاز خطابه وتنظيمه تبعا لمتطلبات السياق، ووفقا للمقاصد التي يريد توصيلها.

ومن ثم "فإن كل خطاب بطبيعته، علاقة بين متكلم ومستمع، أي علاقة تؤطرها محددات اجتماعية وتفاعلية، فالتعابير الخطابية مهما كانت الأوضاع المقامية التي تنجز فيها، موجهة نحو الآخر، نحو مستمع معين ولو كان من حيث وجوده الواقعي غائبًا"[٢].

(١) النص والخطاب والاتصال، ص٢٤-٢٥، ولمزيد بيان عن مصطلحي الكفاية والأداء، وإشكالات العلاقة بينهما، ينظر: النص والخطاب والاتصال، ص٢٤ فما بعدها

(٢) الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص ٢٤.

المبحث الثالث: الدلالات الاستلزامية للأساليب الإنشائية في الطواسين [١]:

في هذا المبحث أحاول تطبيق ما تقرر في الجزء النظري، حيث أحاول استنباط الدلالات المستلزمة للأساليب الإنشائية التي خرجت على أصل استعمالها، وذلك وفق ما تقرر في نظرية الاستلزام الحواري، مراعياً خصوصية هذه الأساليب، ومستفيداً مما قرره علماؤنا من شروط لهذه الأساليب، تقابل قواعد مبدأ التعاون الذي وضعه جرايس، وباستقراء الأساليب الإنشائية في الطواسين وجدت أن أساليب الاستفهام والأمر والنهي هي التي دلت على معان مستلزمة، ولذا اقتصرت على دراستها في الجانب التطبيقي دون غيرها، ومن ثمَّ قسمت هذا المبحث ثلاثة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول– الدلالات الاستلزامية لأسلوب الاستفهام في الطواسين:

في الصفحات الآتية يحاول الباحث بيان الدلالات المستلزمة من الاستفهام في الطواسين نتيجة خرق قواعد مبدأ التعاون لجرايس وخرق شروط الاستفهام، وسوف نلتزم بترتيب الآيات كما جاءت في السور موضوع البحث، وأيضا نعتمد على أقوال المفسرين للوصول إلى هذه الدلالات، ومن خلال دراسة أسلوب الاستفهام في الطواسين، وجد الباحث أنه قد جاء على حقيقته في مواضع، حيث تحققت فيه شروط إجراء الاستفهام على أصله، وقد خرج الاستفهام أيضًا إلى معان مستلزمة، ومنها:

١– التهكم والاحتقار والسخرية:

حيث يقصد السائل تصغير شأن المسئول وازدرائه وغمصه، ومن ذلك قوله تعالى على لسان فرعون يسأل موسى عليه السلام **﴿ألم نربك فينا وليدا﴾**[٢]، تم خرق الشرط الرابع من شروط الاستفهام وهو أن المتكلم يريد الاستفهام ويعنيه أمر المستفهَم عنه، فهو قد خرق قاعدة الملاءمة أو المناسبة، حيث قصد إلى غرض آخر لا يتطلبه الحوار، وواضح أن فرعون لا يريد حقيقة الاستفهام ولا يعنيه أمر المستفهَم عنه لكونه معلوما حاصلا، وإنما أراد المنَّ عليه واحتقاره، يقول ابن عطية" وقول فرعون لموسى أَلَمْ نُرَبِّكَ هو على جهة المن عليه والاحتقار، أي ربيناك صغيرا ولم نقتلك في جملة من قتلنا"[٣]، وفي البحر المحيط" وَلَمَّا بَادَهَهُ مُوسَى بِأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَمَرَهُ بِإِرْسَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَهُ، أَخَذَ يَسْتَحْقِرُهُ وَيَضْرِبُ عَنِ الْمُرْسَلِ وَعَمَّا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ، وَيُذَكِّرُهُ بِحَالَةِ

(١) الطواسين وتسمى أيضًا الطواسيم والطواسم، هي السور التي تبدأ بالحروف المقطعة، طسم، وطس، وهي ثلاث سور: الشعراء وتبدأ بـ"طسم" والنمل، وتبدأ بـ"طس"، والقصص، وتبدأ بـ" طسم".

(٢) الشعراء، الآية ١٨.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٢٢٧/٤

الصِّغَرِ وَالْمَنِّ عَلَيْهِ بِالتَّرْبِيَةِ"[١]، وعند ابن كثير أن فرعون نظر إلى موسى بعين الازدراء والغمص" فَقَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً الآية، أَيْ أَمَا أَنْتَ الَّذِي رَبَّيْنَاهُ فِينَا وَفِي بيتنا وعلى فراشنا، وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِ مُدَّةً مِنَ السِّنِينِ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا قَابَلْتَ ذَلِكَ الْإِحْسَانَ بِتِلْكَ الْفَعْلَةِ أَنْ قَتَلْتَ مِنَّا رَجُلًا، وَجَحَدْتَ نِعْمَتَنَا عَلَيْكَ" [٢]، ومن الاستفهام الدال على الاحتقار، قوله تعالى حاكيًا قول فرعون لموسى عليه السلام **﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾** [٣] فإن المتكلم خرق مبدأ الملاءمة فكلامه خارج موضوع الحوار، وقد قال كلاما معلوما وحاصلا، فحالة الاستماع واقعة بالفعل، ومن ثم فهو يريد غرضا آخر تدل عليه قرائن الأحوال ويدل عليه السياق أيضا، الذي يشير إلى أن المعنى المستلزم هنا هو التهكم والازدراء، يقول القرطبي:" فَقَالَ فِرْعَوْنُ: (أَلا تَسْتَمِعُونَ) عَلَى مَعْنَى الْإِغْرَاءِ وَالتَّعَجُّبِ مِنْ سَفَهِ الْمَقَالَةِ إِذْ كَانَتْ عَقِيدَةُ الْقَوْمِ أَنَّ فِرْعَوْنَ رَبُّهُمْ وَمَعْبُودُهُمْ وَالْفَرَاعِنَةُ قَبْلَهُ كَذَلِكَ"[٤]، ويقول ابن كثير" فَعِنْدَ ذَلِكَ الْتَفَتَ فِرْعَوْنُ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ مِنْ مَلَئِه وَرُؤَسَاءِ دَوْلَتِه، قَائِلًا لَهُمْ- عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالتَّكْذِيبِ لِمُوسَى فِيمَا قَالَهُ-: أَلَا تَسْتَمِعُونَ؛ أَيْ أَلَا تَعْجَبُونَ مِمَّا يَقُولُ هَذَا فِي زَعْمِه أَنَّ لَكُمْ إِلَهًا غَيْرِي؟ فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ أَيْ خالقكم وخالق آبائكم الأولين، الذين كَانُوا قَبْلَ فِرْعَوْنَ وَزَمَانِه" [٥]، ومن المفسرين من أشار إلى أن معناه الإغراء والتعجب من قول موسى تهوينا لشأنه ونيلا منه، قال القرطبي: فَقَالَ فِرْعَوْنُ: (أَلا تَسْتَمِعُونَ) عَلَى مَعْنَى الْإِغْرَاءِ وَالتَّعَجُّبِ مِنْ سَفَهِ الْمَقَالَةِ، إِذْ كَانَتْ عَقِيدَةُ الْقَوْمِ أَنَّ فِرْعَوْنَ رَبُّهُمْ وَمَعْبُودُهُمْ وَالْفَرَاعِنَةُ قَبْلَهُ كَذَلِكَ"[٦]، وفي التحرير والتنوير قال:" أَعْرَضَ فِرْعَوْنُ عَنْ خِطَابِ مُوسَى، وَاسْتَثَارَ نُفُوسَ الْمَلَأِ مِنْ حَوْلِه وَهُمْ أَهْلُ مَجْلِسِه، فَاسْتَفْهَمَهُمُ اسْتِفْهَامَ تَعَجُّبٍ مِنْ حَالِهِمْ، كَيْفَ لَمْ يَسْتَمِعُوا مَا قَالَهُ مُوسَى، فَنَزَّلَهُمْ مَنْزِلَةَ مَنْ لَمْ يَسْتَمِعْهُ تَهْيِيجًا لِنُفُوسِهِمْ كَيْ لَا تَتَمَكَّنَ مِنْهُمْ حُجَّةُ مُوسَى، فَسَلَّطَ الِاسْتِفْهَامَ عَلَى نَفْيِ اسْتِمَاعِهِمْ كَمَا تَقَدَّمَ، وَهَذَا التَّعَجُّبُ مِنْ حَالِ اسْتِمَاعِهِمْ وَسُكُوتِهِمْ يَقْتَضِي التَّعَجُّبَ مِنْ كَلَامِ مُوسَى بِطَرِيقِ فَحْوَى الْخِطَابِ فَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ تَعَجُّبٍ آخَرَ"[٧]، وعند ابن عطية: " فقال فرعون عند ذلك أَلا تَسْتَمِعُونَ على وجه الإغراء والتعجب من

(١) البحر المحيط، ١٤٦/٨

(٢) تفسير ابن كثير، ١٢٤/٦

(٣) الشعراء، الآية ٢٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ٩٨/١٣.

(٥) تفسير ابن كثير، ٦/ ١٢٥

(٦) الجامع لأحكام القرآن، ١٣/ ٩٨

(٧) التحرير والتنوير، ١٩/ ١١٨.

شنعة المقالة"[١]، وفي روح المعاني أن فرعون أراد بذلك " التعجيب منه والإزراء بقائله وكان ذلك لعدم مطابقته للسؤال حيث لم يبين فيه الحقيقة المسئول عنها"[٢]، وذلك أن موسى عليه السلام أجابه بغير السؤال الذي طلبه، فلم يطابق الجواب السؤال، قال فرعون: {ألا تستمعون}، متعجبا من رد موسى عليه السلام" يَعْنِي أَنَا أَطْلُبُ مِنْهُ الْمَاهِيَّةَ وَخُصُوصِيَّةَ الْحَقِيقَةِ، وَهُوَ يُجِيبُنِي بِالْفَاعِلِيَّةِ وَالْمُؤَثِّرِيَّةِ"[٣]، وإنما قال فرعون ذلك" ليهوِّن من شأن موسى، وينال منه، وذلك منعا لقومه أن يميلوا إلى موسى وينعطفوا نحوه ويعاضدوه"[٤].

٢- الإنكار والتوبيخ والتبكيت والتقريع:

حيث يكون الهدف من السؤال الإنكار على المسئول، عن طريق خرق أحد شروط الاستفهام، ومن خلال تحليل الاستفهام في الطواسين وجدت أن أكثره يخرج إلى هذا الغرض- أقصد الإنكار والتوبيخ- ومن ذلك قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام سائلا قومه **﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾**[٥]، فقد سأل عن شيء معلوم وليس مجهولا لديه، ومن ثم حدث هنا خرق لقاعدة الكيف، وقاعدة الملاءمة، حيث قصد غرضا آخر غير معرفة حقيقة ما يعبدونه فهو يعرفها، ومن ثم دل الاستفهام على معنى يستلزمه السياق، وهو الإنكار؛ أي إنكار استحقاق الأصنام للعبادة، وأيضا في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام سائلا قومه **﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾**[٦]، هنا إبراهيم عليه السلام يسأل عن شيء معلوم لديه؛ فهو يعلم أن الأصنام لا تسمع؛ ومن ثم تم خرق قاعدة الملاءمة أو شرط الاستفهام وهو طلب حصول الشيء، أو طلب معرفة شيء غير معروف، حيث سأل عليه السلام عن شيء معلوم، ولذا أراد من الاستفهام معنى مستلزمًا من السياق، وهو التبكيت لهم بسبب عبادتهم هذه الأصنام التي لا تسمع، "وهذا الأسلوب أبلغ في التبكيت، والقصد منه التنبيه على فساد عقلهم وسوء حالهم وأمرهم، وأن عبادتهم الأصنام وافتخارهم بذلك سفه وسوءُ رأي" [٧]، ومثله أيضًا خطاب إبراهيم عليه السلام لقومه **﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾**[٨]، فإن الاستفهام خرج أيضًا إلى معنى التبكيت والتوبيخ لهم، "والكلام إنكار وتوبيخ يتضمن بطلان آلهتهم وعبادتها وأن عبادتها ضلال قديم لا فائدة

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٤/ ٢٢٩.
(٢) روح المعاني، ١٠/ ٧٢.
(٣) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير،٢٤/٤٩٩.
(٤) التفسير الوسيط، ٧/ ١٥٦٤
(٥) الشعراء، من الآية ٧٠.
(٦) الشعراء، الآية ٧٢.
(٧) التفسير الوسيط، ٧/١٥٨٥.
(٨) الشعراء، الآيتان ٧٥-٧٦.

في قدمه إلا ظهور بطلانه كما يؤذن بهذا وصف آبائهم بالأقدمين"[١]، ومثله الاستفهام في قوله تعالي: **﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾**[٢]، حيث لم يجر على أصله؛ لأنه فَقَدَ أحد شروط الاستفهام، وهو طلب الفهم، فقد سأل عن معلوم حاصل، ومن ثم تم خرق قاعدة الكيف، حيث قدم معلومات معروفة، وكذلك لا يتوقع منهم الجواب على هذا السؤال، فالمسئول غير قادر على الجواب، يقول الألوسي:" وهذا سؤال تقريع لا يتوقع له جواب ولذلك قيل: فَكُبْكِبُوا فيها أي ألقوا في الجحيم على وجوههم مرة بعد أخرى إلى أن يستقروا في قعرها"[٣]، ولذا كان المقصود معنى آخر، ودل السياق على هذا المعنى وهو التوبيخ لهم، " أي: يقال لهم على سبيل **التوبيخ:** أين آلهتكم التي كنتم تعبدونها من دون الله وتزعمون أنهم شفعاؤكم في هذا الوقت؟ ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ﴾: بدفع ما تشاهدون من الجحيم وما فيها من العذاب الشديد وعظيم الأهوال، ﴿أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ بدفع ذلك عن أنفسهم؛ أي: ليست الآلهة التي عبدتموها من دون الله من تلك الأصنام والأنداد تغنى عنكم اليوم شيئا ولا تدفع عن أنفسها، فإنكم وإياها اليوم حصب جهنم أنتم لها واردون"[٤].

ومن الاستفهام الذي يدل على معنى ضمني مستلزم سياقياً وهو الإنكار والتوبيخ، قوله تعالى على لسان نبيه هود عليه السلام: **﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾**[٥]، فالمسئول عنه حاصل وواقع منهم، ومن ثم فليس الغرض من الاستفهام طلب العلم والفهم، ولما كان ذلك كذلك دل السياق على معنى آخر، وأنه عليه السلام أراد توبيخهم على اهتمامهم بدنياهم دون العمل لآخرتهم، " والمقصود من ذمهم وتوبيخهم على الوجهين: اهتمامهم بدنياهم، دون العمل لأخراهم، فلو عملوا لهما جميعًا لما عيب عليهم ما صنعوه لدنياهم في غير سرف ولا مخيلة" [٦]، ففيه خرق لقاعدة الكيف، ومع الالتزام بمبدأ التعاون في الحوار، دل الاستفهام على ذمهم وتوبيخهم.

وفي قوله تعالى على لسان نبيه صالح عليه السلام مخاطبًا قومه:**﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَا هُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾**[٧]، تم خرق قاعدة الكيف، فالمتكلم يقول شيئا لا يعتقد صحته،

(١) روح المعاني، ٩٣/١٠.
(٢) الشعراء، الآيتان ٩٢-٩٣.
(٣) روح المعاني، ١٠١/١٠.
(٤) التفسير الوسيط، ١٥٩٥/٧.
(٥) الشعراء، الآية ١٢٨.
(٦) التفسير الوسيط، ١٦٠٨/٧.
(٧) الشعراء، الآيات ١٤٦- ١٤٩.

فهو يعلم أن الله لا يتركهم يتمتعون دون عقابهم على كفرهم، وإذا افترضنا أنه تم الالتزام بمبدأ التعاون في الحوار، فإن الاستفهام هنا أفاد معنى مستلزما وهو الإنكار والنفي، " إنكار ونفي لأن يتركوا في نعيمهم لا يزالون عنه، أو تذكير بالنقمة إذا تخلى الله عنهم، فقضى على ما يتنعمون به من الجنات وما هم فيه من الأمن والدعة"(١)، وعند ابن عطية أنه أراد تخويفهم، يقول: "وقوله أَتُتْرَكُونَ فِي ما هاهُنا تخويف لهم بمعنى أتطمعون أن تقروا في النعم على معاصيكم"(٢).

وفي حوار سيدنا لوط عليه السلام مع قومه يخاطبهم ﴿**أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾ (٣)، فإنه عليه السلام لا يريد حقيقة الاستفهام، لكون المستفهَم عنه واقعا معلوما، ومن ثم تم خرق قاعدة الكيف لهذا السؤال، فأفاد معنى آخر يفهم من السياق، وهذا المعنى هو التوبيخ والإنكار، والمعنى" قال لوط لقومه على سبيل التوبيخ والإنكار: أتاتون الفاحشة مع الذكران من بني آدم، فلا حياء عندكم يمنعكم عن قريب أو غريب، كأن النساء أعوزتكم؟!"(٤).

وجاء الاستفهام في قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ (٥)، دالا على الإنكار والنفي، فمعرفة أهل الكتاب للقرآن في كتبهم آية واضحة على صدقه، ومن ثم تم خرق مبدأ الكيف، ومع التزام الحوار مبدأ التعاون، خرج الاستفهام إلى الإنكار والنفي، فـ" الْهَمْزَةُ لِلْإِنْكَارِ، وَالْوَاوُ: لِلْعَطْفِ عَلَى مُقَدَّرٍ، كَمَا تَقَدَّمَ مِرَارًا، وَالْآيَةُ: الْعَلَامَةُ وَالدَّلَالَةُ، أَيْ: أَلَمْ يَكُنْ لِهَؤُلَاءِ عَلَامَةٌ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ، وَأَنَّهُ تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَأَنَّهُ فِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ، أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى الْعُمُومِ"(٦).

ولما قال المشركون للرسول ﷺ ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٧)، وقولهم {أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا}(٨)، رد عليهم الله ﷻ بقوله: ﴿**أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤) أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ**﴾(٩)، بيد أن الاستفهام في الآيات الكريمة ليس مقصودًا على حقيقته، وذلك أن الخطاب عدل عن إجابتهم إلى ما طلبوه إلى

(١) التفسير الوسيط، ١٦١٣/٧.
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٢٣٩/٤.
(٣) الشعراء، الآية ١٦٥.
(٤) التفسير الوسيط، ١٦١٦/٧.
(٥) الشعراء، الآية ١٩٧.
(٦) فتح القدير، ١٣٦/٤.
(٧) الأنفال، الآية ٣٢.
(٨) الإسراء، الآية ٩٢.
(٩) الشعراء، الآيات ٢٠٤-٢٠٧.

الاستفهام، ومن ثم تم خرق قاعدة الملاءمة، ومع الالتزام بمبدأ التعاون، وبمساعدة السياق وقرائن الأحوال نعرف أن الاستفهام أفاد معنى مستلزما هو التوبيخ للمشركين والإنكار عليهم، فمعنى" الآيات توبيخ للمشركين وإنكار عليهم في قولهم للرسول تكذيبًا واستبعادًا: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وقولهم: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾"(١).

ومن خلال تحليل الاستفهام في سورة النمل- السورة الثانية من الطواسين- وجد أنه قد خرج أيضًا إلى معان ضمنية مستلزمة، ومن الاستفهام الذي أفاد التوبيخ والإنكار، قوله تعالى على لسان سيدنا سليمان عليه السلام: **﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾**(٢)، حيث فَقَدَ الاستفهام شرط طلب حصول الفهم للمستفهَم عنه وتصوره، لكونه واقعا معروفا، ومن ثم تم خرق إحدى قواعد مبدأ التعاون وهي قاعدة الكيف، وبمعاونة السياق وقرائن الأحوال يفهم خروج الاستفهام إلى معنى مستلزم هو الإنكار والتوبيخ، "فكأنه قيل: أنكر إمدادكم إياي بمال لأن ما عندي خير منه فلا حاجة لي إلى هديتكم ولا وقع لها عندي"(٣).

والاستفهام في قوله تعالى: **﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾**(٤)، قد خرج عن شروط الاستفهام وهو طلب تصور المستفهم عنه، فهو معروف ومعلوم، وواقع منهم، ومن ثم تم خرق قاعدة الكيف أيضا، ومع افتراض الالتزام بمبدأ التعاون في الحوار، يكون المستفهِم قصد معنى آخر غير حقيقة الاستفهام، هذا المعنى يدلنا عليه السياق وقرائن الأحوال، ويكون المعنى المقصود التوبيخ لهم ولومهم على فعلهم الشنيع، يقول الألوسي:" الاستفهام إنكاري، وقوله تعالى: وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ جملة حالية من فاعل تَأْتُونَ مفيدة لتأكيد الإنكار"(٥)، " والمعنى: وأرسلنا لوطا إلى قومه لائما موبخا حين قال لهم: أتأْتون هذه الفعلة النكراء المتناهية في القبح والشناعة، وأنتم تعلمون مبلغ قبحها وشناعة جرمها وارتكابها؟ أَو وأنتم تعلمون عاقبة العصاة، ونهاية أمرهم؟ وقيل: تبصرون من الإبصار، بمعنى النظر بالعيون، والمعنى: تفعلونها جهارا علانية وأنتم ينظر بعضكم إلى بعض، والمراد بالاستفهام في قوله:

(١) التفسير الوسيط، ١٦٣٢/٧، فتح القدير، ١٣٧/٤.
(٢) النمل، الآية ٣٦.
(٣) روح المعاني، ١٩٥/١٠.
(٤) النمل، الآية ٥٤.
(٥) روح المعاني، ٢٠٩/١٠.

﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ استبعاد فعلها، واستنكار ارتكابها"[١]، ويستمر لوط عليه السلام في حواره مع قومه مستخدمًا أسلوب الاستفهام قائلا لهم: **﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾**[٢]، " تثنية للإنكار وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق التصريح بعد الإبهام، وتحلية الجملة بحرفي التأكيد للإيذان بأن مضمونها مما لا يصدق وقوعه أحد لكمال شناعته"[٣]، وكما سبق فإن الاستفهام –هنا أيضا– أفاد الإنكار والتوبيخ لهم، فإنه عليه السلام سألهم عن شيء معلوم واقع منهم، خارقا قاعدة الكيف، ومع افتراض الالتزام بمبدأ التعاون، يكون المعنى المستلزم من الاستفهام هو الإنكار والتوبيخ، وكرر الكلام عن فاحشتهم " لمزيد الإنكار، وبيان حقيقتها بطريق التصريح بعد الإبهام، وتصدير الجملة بحرفي التأكيد للإيذان بأن مضمونها مما لا يصدق وقوعه أحد؛ لكمال شناعته وفظاعة مجانته، فلهذا احتاج إلى تأكيد وقوعه، وإعادة همزة الاستفهام الإنكاري معه"[٤].

ومن مجيء الاستفهام للتوبيخ؛ الاستفهام في قوله تعالى: **﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**[٥]، فقد دل السياق على أن الاستفهام للإنكار والتوبيخ؛ " إنكار على المشركين وتوبيخ لهم أن يعبدوا غير الله أي أيهما خير؟ آلله الذي ذكرت شئونه العظيمة أم الذي يشركونه به من الأصنام؟ ومرجع ترديد السؤال بينهما في الخيرية إلى التعريض بتبكيت الكفرة من جهته تعالى، وتسفيه آرائهم والتهكم بهم، وذلك لأنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله، ولا يؤثر عاقل شيئًا على شيءٍ إلّا لداع يدعوه إلى إيثاره من زيادة خير ومنفعة"[٦].

والمعنى نفسه، دل عليه الاستفهام في قوله تعالى: **﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾** الذي تكرر في خمس آيات من سورة النمل [٧]، فبعد أن يعدد عليهم أفعال الله التي لا يقدر عليها غيره {خلق السماوات والأرض، أنزل من السماء ماء، وإنبات الشجر، جعل الأرض قرارا، خلق الجبال، إلخ}... يوبخهم ويبكتهم على اتخاذ آلهة عاجزة معه، والانتقال من آية إلى أخرى، من هذه الآيات لزيادة التبكيت، يقول الألوسي: "وقال بعض الأجلة: الأظهر أن كل واحدة منها إضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها إلى التبكيت بوجه آخر داخل في الإلزام بجهة من الجهات"[٨]، والمعنى " أي أإله آخر مع الله في خواص الألوهية التي لا

(١) التفسير الوسيط، ١٦٨١/٧.
(٢) النمل، الآية ٥٥.
(٣) روح المعاني، ٢٠٩/١٠.
(٤) التفسير الوسيط، ١٦٩٤/٧.
(٥) النمل، الآية ٥٩.
(٦) التفسير الوسيط، ١٦٩٨/٧.
(٧) النمل، الآيات:٦٢،٦٣،٦٤،٦٠،٦١.
(٨) روح المعاني، ٢١٧/١٠.

يقدر غيره عليها، حتى يتوهم جعله شريكًا له في العبادة، وهذا تبكيت لهم على اتخاذهم آلهة عاجزة مع الله صاحب القوى والقدر التي لا تتناهى"[١]، وعليه جاء الاستفهام في الآيات من الآية ٦١ في قوله ﷻ متسائلًا مبكتًا هؤلاء المشركين ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ إلى الآية ٦٤ في قوله ﷻ: **﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾**، فالاستفهام (أمَن) في الآيات الكريمات (٦٠،٦١،٦٢،٦٣،٦٤) لم يقصد لذاته، لكون المستفهَم عنه معلومًا واضحًا، والمستفهِم لم يُرِد الاستفهام، ومن ثم دل السياق على خروج الاستفهام إلى معنى التوبيخ والتبكيت لهم على كفرهم وشركهم، على الرغم من وضوح الآيات الدالة على الله ﷻ واستحقاقه وحده العبادة، وجاء بالاستفهام في الآيات على "طَرِيقَةِ التَّكْرِيرِ تَعْدِيدًا لِلْإِنْكَارِ وَتَمْهِيدًا لِلتَّوْبِيخِ بِقَوْلِهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"[٢]، فهو" انتقال من تبكيت المشركين بآية من آيات قدرته إلى تبكيتهم بآية أخرى من آياتها العظيمة"[٣].

جاء الاستفهام في قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾** [٤]، على غير حقيقته، وذلك لاختراق قاعدة الكيف، فالسائل لا يعتقد في البعث بعد الموت، ومن ثم دل ذلك –مع افتراضنا أن المتكلم ملتزم بمبدأ التعاون– على معنى آخر غير المعنى الأصلي الذي هو الاستفهام، وهذا المعنى الآخر يفهم من السياق، فلما كان حالهم حال المنكر من البعث نفهم أن سؤالهم كان غرضه الإنكار الشديد للبعث، ومن ثم فالآية الكريمة " بيان لجهل الكافرين بالآخرة وعَمَاهم عنها بحكاية إنكارهم للبعث، والمراد بهم: مشركو قريش فقد أنكروا إخراجهم من قبورهم أحياء إنكارا شديدًا متكررًا مبالغًا فيه، وتقييد الإخراج بوقت كونهم ترابًا ليس لتخصيص الإنكار الواقع منهم بالإخراج في هذا الوقت فقط، فإنهم منكرون للإحياء بعد الموت مطلقًا، وإن كان الجسد على حاله" [٥]، يقول الألوسي:" وتقييد الإخراج بوقت كونهم ترابا ليس لتخصيص الإنكار بالإخراج حينئذ فقط فإنهم منكرون للإحياء بعد الموت مطلقا وإن كان البدن على حاله بل لتقوية الإنكار بتوجيهه إلى الإخراج في حالة منافية له بزعمهم، وقوله سبحانه: وَآباؤُنا عطف على اسم كان واستغنى بالفصل بالخبر عن الفصل بالتأكيد، وتكرير

(١) التفسير الوسيط، ١٦٦٩/٧.
(٢) التحرير والتنوير، ١٤/٢٠.
(٣) التفسير الوسيط، ١٧٠٠/٧.
(٤) النمل، الآية ٦٧.
(٥) التفسير الوسيط، ١٧٠٧/٧.

الهمزة في "أإنا" للمبالغة والتشديد في الإنكار، وتحلية الجملة بأن واللام لتأكيد الإنكار لا لإنكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم الكريم "[١].

ويستمر هؤلاء المشركين في تكذيبهم بالبعث وإنكارهم ليوم القيامة، والسخرية منه، حيث حكى الله تعالى على لسانهم: **﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** [٢]، فهؤلاء لا يعتقدون بوجود هذا اليوم، ومن ثم فقد تم خرق قاعدة الكيف، فهم يقدمون معلومات لا يعتقدون في صحتها، ودل السياق على أن مقصدهم ليس الاستفهام حقيقة، وإنما الإنكار والسخرية، يقول ابن عاشور: "وَهُوَ اسْتِفْهَامُ تَهَكُّمٍ مِنْهُمْ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ"[٣]، حتى إذا كان يوم القيامة، خاطبهم الله تعالى: **﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[٤]، ولما كان التكذيب قد وقع منهم فعلا، فَقَدَ الاستفهام معناه الحقيقي وخرج إلى معنى مستلزم، دل على ذلك خرق قاعدة الكيف، وهذا المعنى هو التوبيخ، فالحق سبحانه وتعالى يوبخهم على تكذيبهم وكفرهم بآيات الله، قبل الحكم عليهم بالعذاب المقيم، " فهم يدفعون ويساقون إلى المحشر الذي يجتمع فيه الخلائق، ويحبس أول الكافرين على آخرهم، حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقف التوبيخ والمساءلة من المحشر، حتى إذا جاءُوه قال الله تعالى- موبخًا لهم-: أكذبتم بآياتي التشريعية، والتكوينية بادئ الرأي، غير ناظرين فيها نظرًا يجعلكم تحيطون بها علمًا ويدفعكم إلى الإيمان بربوبيتي ووحدانيتي، أَم ماذا كنتم تعملون بعقولكم في هذه الآيات البينات، حتى وصل بكم التفكير فيها إلى هذا التكذيب الذي أبعدكم عن الحق المبين؟، ولما كان كلا الأَمرين لا يستوجب تكذيبهم لوضوح تقصيرهم فيهما، فلهذا لم يستطيعوا أن يجيبوا ربهم بما يخفف عنهم مسؤوليتهم فيها فقال الله ﷻ عقب هذه المساءلة {وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ}"[٥].

وجاء في سورة القصص، من الاستفهام الذي غرضه التوبيخ قوله تعالى مخاطبا للمشركين: **﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾** [٦]، فهنا تم خرق قاعدة الكيف من قواعد مبدأ التعاون الذي اقترحه جرايس، وشرط الاستفهام وهو طلب الفهم مفقود أيضا، فالله تعالى أعلم بهم وبمكانهم، ولذا كان المعنى المستلزم هو توبيخهم

(١) روح المعاني، ٢٢٦/١٠.
(٢) النمل، الآية ٧١.
(٣) التحرير والتنوير، ٢٧/٢٠.
(٤) النمل، الآية ٨٤.
(٥) التفسير الوسيط، ١٧١٨/٧.
(٦) القصص، الآية ٦٢.

والتهكم بهم في يوم القيامة، يقول ابن عطية:" وقوله أَيْنَ، على جهة التقريع والتوبيخ، وقوله شُرَكائِيَ أي على قولكم وزعمكم"[١]، وفي البحر المحيط:" هَذَا الِاسْتِفْهَامُ عَلَى جِهَةِ التَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيعِ، وَالشُّرَكَاءُ هُمْ مَنْ عَبَدُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ"[٢]، وهو سؤال لا جواب له عندهم، فألقوا بتهمة الإغواء على المغوين لهم ورؤسائهم من الشياطين،" قال القاضي أبو محمد: ولما كان هذا السؤال مسكتا لهم مبهتا فكأنه لا متعلق لجمهور الكفرة إلا ب «المغوين» لهم والأعيان، الرؤوس منهم وبالشياطين المغوين"[٣].

ثم يتكرر النداء لهم مرة ثانية في الآية ٧٤ من السورة نفسها سائلًا إياهم عن الشركاء الذين جعلوهم مع الله **﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾** زيادة في توبيخهم " وهو تقريع إثر تقريع، للإشعار بأنه لا شيء أجلب لغضب الله ﷻ من الإشراك، كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده ﷻ، يقول القرطبي: ينادى الله المشركين مرة فيقول لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ فيدعون الأصنام فلا تستجيب فتظهر حيرتهم وخيرتهم، ثم ينادَون مرة أخرى على رءُوس الأشهاد فيسكتون، وهو توبيخ وزيادة خزي"[٤].

٣- الاستعانة وطلب المشورة:

في قوله تعالى على لسان فرعون يخاطب قومه: **﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾** [٥]،" لما عرض موسى معجزتي العصا واليد أمام فرعون ارتاع فرعون ونسى ربوبيته، وقال لأتباعه على الفور مستغيثًا بهم، وهابطا عن كبريائه: ﴿مَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ يعني؛ أيّ أمر تأمرونني فأُنفذه، حتى لا يضيع ملكي"[٦]، فدل السياق على أن المعنى المستلزم هو الاستغاثة وطلب المشورة، وهذا ما ذكره ابن كثير، حيث قال في تفسير الآية: "أَيْ أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ بِقُلُوبِ النَّاسِ مَعَهُ بِسَبَبِ هَذَا، فَيُكْثِرَ أَعْوَانَهُ وَأَنْصَارَهُ وَأَتْبَاعَهُ، وَيَغْلِبَكُمْ عَلَى دَوْلَتِكُمْ، فَيَأْخُذَ الْبِلَادَ مِنْكُمْ، فَأَشِيرُوا عَلَيَّ فِيهِ مَاذَا أَصْنَعُ بِهِ؟"[٧]، لقد خاف فرعون على ملكه، فنسى ألوهيته ونزل على كبريائه، وطلب المشورة من أتباعه

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٢٩٤/٤.
(٢) البحر المحيط، ٣١٨/٨.
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٢٩٤/٤.
(٤) التفسير الوسيط، ١٨٠٤/٧.
(٥) الشعراء، الآية ٣٥.
(٦) التفسير الوسيط، ١٨٠٤/٧.
(٧) تفسير ابن كثير، ١٢٦/٦.

"وَذَلِكَ لِمَا حَلَّ بِهِ مِنَ التَّحَيُّرِ وَالدَّهَشِ وَانْحِطَاطِهِ عَنْ مَرْتَبَةِ أُلُوهِيَّتِهِ إِلَى أَنْ صَارَ يَسْتَشِيرُهُمْ فِي أَمْرِهِ، فَيَأْمُرُونَهُ بِمَا يَظْهَرُ لَهُمْ فِيهِ، فَصَارَ مَأْمُورًا بَعْدَ أَنْ كَانَ آمِرًا"(١).

٤- الحث والتشجيع:

من الاستفهام الذي معناه المستلزم الحث والتشجيع، قوله تعالى في سورة الشعراء **﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾** (٢)، لما كان اجتماع الناس واقع ومعلوم؛ لأنهم في يوم عيدهم حيث يكون اجتماع الناس، ومن ثم فقد جرى الاستفهام على غير أصله، فليس المراد طلب التحقق من اجتماعهم أو عدمه، وإنما المعنى المستلزم هو حثهم وتشجيعهم على الاجتماع، ويكون معنى الآية" قيل للناس استبطاء لهم، وحثا ودفعا على المبادرة والإسراع إلى الاجتماع الذي جمع له السحرة البارعون الممتازون، قيل لهم: {هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ}، هذا الاستفهام مجاز **عن الحث والدفع**، فكأنه قيل لهم: أسرعوا بمشاهدة هذا اللقاء بين سحرتنا وموسى، وهذا الحث يشعر بأن فرعون مطمئن إلى نجاح سحرته الذين جلبهم وجمعهم من مدائنه"(٣).

٥- التعريض:

وهو أن يخفي المتكلم مراده، ويشير إليه إشارة خفية، وهو عكس التصريح، ويمكن للمتكلم الرجوع عنه، أو التهرب مما أشار إليه، كأن يقول أنا لم أقصد ذلك.

ومن الاستفهام الذي دلالته المستلزمة هي التعريض، قوله تعالى في سورة الشعراء: **﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾**(٤)، فالسؤال ليس قصدهم، وإنما قصدوا التعريض بالمؤمنين، والسياق يدل على ذلك، فقولهم (الأرذلون) فيه دلالة على ذلك، حيث قصدوا أن هؤلاء آمنوا ليرفعوا خستهم" ولما كان وصفهم لمن اتبعوا نوحًا بأنهم أرذلون، فيه تعريض بأنهم لم يتَّبعوه إخلاصًا له أو لدينه، بل ليرفعوا خسَّتهم، أو ليصيبوا بإيمانهم بعض المنافع، فلهذا رد عليهم نوح بما حكاه الله بقوله: ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾"(٥)، وهنا تم الإخلال بقاعدة الكيف من قواعد مبدأ التعاون التي قررها جرايس، وكذلك الإخلال بشرط الاستفهام وهي طلب الفهم، ولما كانوا عالمين بحال مَن آمن مع نوح عليه السلام، ومن ثم دل الاستفهام على معنى مستلزم وهو التعريض.

(١) البحر المحيط، ١٥٤/٨.
(٢) الشعراء، الآية ٣٩.
(٣) التفسير الوسيط، ١٨٠٤/٧.
(٤) الشعراء، الآية ١١١.
(٥) التفسير الوسيط، ١٦٠٢/٧.

٦- التقرير:

من الدلالات المستلزمة التي أفادها الاستفهام التقرير، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الشعراء: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾** [١]، فليس المقصود السؤال عن حال الشعراء لأنها معروفة واضحة للجميع، ومن ثم تم الإخلال بشرط الاستفهام، وهو طلب تصور الشيء، ومن هنا جاء" الاستفهام للتقرير، والخطاب لكل من تتأتى منه الرؤية لِلإيذان بأَن حالهم من الظهور والوضوح بحيث لا يختص برؤيته راءٍ، أَي: أَلم تر أَن الشعراءَ يهيمون على وجوههم في كل واد من أَودية الغي والضلال، وفي كل مسلك من مسالك الزور والبهتان، وفي كل شعْب من شعاب الوهم والخيال، لا يهتدون إلى الحق"[٢]، ومن الاستفهام الذي معناه التقرير أيضاً، قوله ﷻ: **﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾** [٣]، فالاستفهام هنا ليس مرادا على حقيقته، فالجواب معلوم، وعلم الله لا يغيب عنه شيء، ومن ثم عُرف من السياق أن الاستفهام يراد به التقرير والتوضيح، لأن" هذه الآية الكريمة تقرير وتوضيح لما قبلها، ومعناها – كما قال ابن كثير –: أفمن هو مؤْمن فصدّق بما وعده الله على صالح الأَعمال من الثواب الذي هو صائر إليه لا محالة؛ لأن وعده ﷻ لا يتخلف، كمن هو كافر مُكذِّب بلقاء الله ووعده ووعيده فهو مُمتَّع في الحياة الدنيا أيَّامًا قلائل، ثم هو يوم القيامة من المُحضرين، أي: من المعذبين، كما قال مجاهد وقتادة" [٤].

٧- الإبهام والتهويل:

من المعاني المستلزمة التي يدل عليها الاستفهام، الإبهام والتهويل، وذلك في قوله تعالى: **﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾**[٥]، فلا يمكنهم تصور عاقبتهم وكيف ستكون، يقول أبو حيان: " تَوَعَّدَ الظَّالِمِينَ هَذَا التَّوَعُّدَ الْعَظِيمَ الْهَائِلَ الصَّادِعَ لِلْأَكْبَادِ وَأَبْهَمَ فِي قَوْلِه: أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ"[٦]، وقال الشوكاني:" ثُمَّ خَتَمَ سُبْحَانَهُ هَذِه السُّورَةَ بِآيَةٍ جَامِعَةٍ لِلْوَعِيدِ كُلِّه فَقَالَ: وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ فَإِنَّ فِي قَوْلِه: سَيَعْلَمُ تَهْوِيلًا عَظِيمًا، وَتَهْدِيدًا شَدِيدًا، وَكَذَا فِي إِطْلَاقِ الَّذِينَ ظَلَمُوا، وَإِبْهَامِ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ"[٧]، ومن

(١) الشعراء، الآية ٢٢٥.
(٢) التفسير الوسيط، ١٦٤١/٧.
(٣) القصص، الآية ٦١.
(٤) التفسير الوسيط، ١٧٩٥/٧، تفسير ابن كثير، ٢٢٤/٦.
(٥) الشعراء، الآية ٢٢٧.
(٦) البحر المحيط، ٢٠٢/٨.
(٧) فتح القدير، ١٤٠/٤.

ثم فَقَدَ الاستفهام شرط إمكان حصول المسئول عنه، وقدرة المسئول على الإجابة على سؤال السائل، ولما تعذر ذلك و استحال، دل السياق على أن للاستفهام معنى آخر غير المعنى الحرفي، وهذا المعنى هو الإبهام والتهويل، فالآية الكريمة فيها " تهديد شديد لكل من انتصر بظلم، يشير إليه الإبهام والتهويل في قوله تعالى: أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ" (١).

٨- التعمية والتلبيس:

جاء الاستفهام دالا على التعمية والتلبيس وذلك في مخاطبة بلقيس في الآية الكريمة: **﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾** (٢)، حيث جاء في التفسير الوسيط " ولم يكن السؤال: أهذا عرشك بغير كاف التشبيه، زيادة في إبهام أمره عليها، ولم يصرح بالقائل لها لأنه لا يتعلق بذكره غرض، ولأن السؤال سؤال تعمية وتلبيس، لا يجمل معه ذكر السائل، وكان جوابها: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ غاية في دقة الفكر، وكمال رجاحة العقل، حيث لم تقطع بأنه هو، أو ليس هو، فضلًا عمَّا فيه من مواءَمة ما في السؤال من الإبهام والإعجام" (٣)، ومن ثم فإن الاستفهام دل على معنى ضمني هو التعمية والتلبيس عليها، وتم الاستدلال على ذلك من السياق والقرائن التي منها استخدام كاف التشبيه، فإن السائل غير قاصد للسؤال لمعرفته بالشيء المسئول عنه، ومن ثم تم خرق قاعدة الكيف فخرج الاستفهام إلى المعنى المشار إليه.

٩- التوجيه والإرشاد:

حيث يراد من الاستفهام توجيه المخاطب إلى أمر ما، وذلك كما في قوله تعالى:**﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾**(٤)، فالاستفهام هنا خرج إلى معنى مستلزم دل عليه المقام وهو التوجيه والإرشاد، لعدم توافر شروط الاستفهام فيها، ومن ثم جاءت الآية الكريمة " لتوجيه نظر المشركين وعقولهم إلى بعض آيات الله الكونية الشاهدة بوحدانيته، وقدرته على البعث والحشر والحساب التي أنكروها، والمراد من الرؤية هنا: الرؤية القلبية فإنها هي التي توصلهم إلى الإيمان"(٥)، وجعل ابن عاشور الاستفهام في الآية الكريمة للتعجب من حالهم، قال:" وَالِاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلٌ كِنَايَةً عَنِ التَّعْجِيبِ مِنْ حَالِهِمْ لِأَنَّهَا لِغَرَابَتِهَا تَسْتَلْزِمُ سُؤَالَ مَنْ يَسْأَلُ

(١) التفسير الوسيط، ١٦٤٣/٧.
(٢) النمل، الآية ٤٢.
(٣) التفسير الوسيط، ١٦٨٦/٧، وينظر: فتح القدير، ١٦٣/٤.
(٤) النمل، الآية ٨٦.
(٥) التفسير الوسيط، ١٧٢٠/٧.

عَنْ عَدَمِ رُؤْيَتِهِمْ فَهَذِهِ عَلَاقَةُ أَوْ مُسَوِّغُ اسْتِعْمَالِ الِاسْتِفْهَامِ فِي التَّعْجِيبِ"(١)، وأكد الرازي دلالة الإرشاد، وأن في الآية أدلة على التوحيد والحشر والنبوة مبالغة في الإرشاد، يقول الرازي:" ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ بَعْدَ أَنْ خَوَّفَهُمْ بِأَحْوَالِ الْقِيَامَةِ ذَكَرَ كَلَامًا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ دَلِيلًا عَلَى التَّوْحِيدِ وَعَلَى الْحَشْرِ وَعَلَى النُّبُوَّةِ مُبَالَغَةً فِي الْإِرْشَادِ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْمَنْعِ مِنَ الْكُفْرِ فَقَالَ: أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهارَ مُبْصِراً" (٢).

ومن الاستفهام الذي أفاد دلالة الإرشاد والنصح أيضاً، قوله تعالى: **﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾** (٣)، والمعنى أن آل فرعون " تلمسوا له المراضع، فلما رأتهم أخته حائرين فيمن يرضعه قالت: ألا أرشدكم إلى أسرة كريمة تكفله، وتتعهده بالرضاع والتربية وتقوم برعايته، ولا تقصر في خدمته، وهم له حافظون ومخلصون في رعايتهم له "(٤)، ومن ثم دل أسلوب الاستفهام على معنيين:

- المعنى الحرفي: وهو الاستفهام.
- المعنى المستلزم من السياق: وهو الإرشاد.

ومجمل القول إن أسلوب الاستفهام في إذا أجري على أصله من خلال تحقق شروط الاستفهام، دل على معناه الحرفي/ الأصلي وهو الاستفهام، وقد يخرج الاستفهام إلى دلالات أخرى مستلزمة من السياق كدلالة الإنكار والاحتقار والتبكيت والسخرية والتوجيه والإرشاد إلى غير ذلك من الدلالات، ومن خلال التحليل السابق لأسلوب الاستفهام نستنتج ما يأتي:

١- قاعدة إجراء الاستفهام على الأصل هي المرجع في فهم دلالته، أي: إذا أجري على الأصل دل على معناه الحقيقي، وإذا جاء على خلاف الأصل، أفاد دلالات أخرى فرعية مستلزمة من السياق، وهذا الذي قرره علماؤنا القدماء لأسلوب الاستفهام، حيث رأوا أن الاستفهام قد يدل على معناه الأصلي إذا تحققت فيه شروط إجراء الاستفهام، وقد يخرج إلى معان أخرى يحددها السياق، إذا أخل بهذه الشروط، ويمثل هذا نقطة التقاء مع نظرية الاستلزام الحواري التي وضعها جرايس، ومفادها أن الكلام يكون له معنيان معني حقيقي إذا التزم بمبدأ التعاون، ومعنى مستلزم إذا تم

(١) التحرير والتنوير، ٤٣/٢٠.
(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ٥٧٣/٢٤.
(٣) القصص، الآية ١٢.
(٤) التفسير الوسيط، ١٧٤٥/٧.

خرق قواعد مبدأ التعاون، مما يؤكد على أهمية قراءة هذا التراث العظيم بما وصل إليه العلم الحديث من أدوات، تكشف عن غناه وعظمته، ولنواكب التطور من حولنا.

٢- للاستفهام معنيان؛ أحدهما: حرفي الذي يدل عليه تركيب العبارة، وهو الاستفهام، وثانيهما: مستلزم، يفهم من السياق وقرائن الأحوال، ومن ثم فالمعنى الثاني المستلزم ليس ثابتا، وإنما يتعدد بتعدد السياقات التي يرد فيها، في حين أن المعنى الأول ثابت، وهو الاستفهام.

٣- أكثر الدلالات المستلزمة سياقياً لأسلوب الاستفهام في الطواسين، هي دلالة الإنكار والتوبيخ، حيث جاء سياق الآيات في دعوة الرسل لقومهم، وهؤلاء أغلبهم يكذب رسله، فما يكون من الرسول إلا توجيه اللوم لهم والتوبيخ على تكذيبهم بالإيمان.

المطلب الثاني: الدلالات الاستلزامية لأسلوب الأمر في الطواسين

من خلال تحليل أسلوب الأمر في الطواسين تبين أن الأمر قد استعمل في معناه الأصلي عندما تحققت فيه شروطه، وأنه خرج إلى دلالات أخرى مستلزمة دل عليها السياق، ومن الدلالات المستلزمة التي أفادها أسلوب الأمر في الطواسين ما يأتي:

١- **الدعاء:** يقصد بالدعاء "الطلب على سبيل التضرع"(١)، أو هو " طلب الفعل أو الكفِّ من الأدنى إلى الأعلى"(٢)، ومن صيغه الأمر (٣)، وقد مر بنا أن من شروط الأمر العلو؛ أي يكون من الأعلى إلى الأدنى، ومن ثم فالأمر هنا فَقَدَ شرط العلو، فصار من الأدنى إلى الأعلى، فأفاد الدعاء، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ(٨٣) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ(٨٤) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ(٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ(٨٦)﴾** (٤)، فالأمر: (هب– ألحقني–واجعل–واجعلني –واغفر) حيث دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يهبه علماً وأن يدخله في الصالحين، " وقدم الدعاءَ الأول على الدعاءِ الثاني لأن القوة العلمية مقدمة على القوة العملية، ولأن العلم صفة للروح، والعمل صفة البدن، ولقد دعا إبراهيم عليه السلام بدعائه هذا وهو نبي هضمًا لنفسه، وطلبا للمزيد من الكمالات، وكان من دعاء رسولنا ﷺ: "اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين"(٥)، ومنه أيضًا دعا سيدنا لوط ربه، كما في قوله تعالى : **﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا**

(١) أساليب بلاغية، الفصاحة–البلاغة –المعاني، ص١١١.

(٢) الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص١٦.

(٣) الدعاء يأتي بثلاث صيغ هي: الأمر، والنهي، والخبر، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ١٦.

(٤) الشعراء، الآيات ٨٣–٨٦.

(٥) التفسير الوسيط، ١٥٩١/٧، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ٥١٤/٢٤.

يَعْمَلُونَ﴾[1]، حيث " دعا لوط ربه أن ينقذه وأهله مما يعمل هؤلاء الجاهلون -: أي من عقوبة أعمالهم وشؤمها"[2]، وكان الجواب من الله تعالى بأن" أَجَابَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دُعَاءَهُ، وَقَالَ: فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ؛ أَيْ أَهْلَ بَيْتِه، وَمَنْ تَابَعَهُ عَلَى دِينِه"[3]، وكذلك دعاء موسى عليه السلام ربه، كما في قوله تعالى : **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**[4]، حيث " إن ندم موسى حمله على الخضوع لربه والاستغفار عن ذنب باء به عنده تعالى فغفر الله خطأه ذلك. قال قتادة: عرف والله المخرج فاستغفر"[5]، وقوله تعالى: **﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**[6]، فبعد أن نصحه مؤمن آل فرعون بالخروج؛ لأن القوم يريدون قتله" فَامْتَثَلَ مُوسَى مَا أَمَرَهُ بِهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ، وَعَلِمَ صِدْقَهُ وَنُصْحَهُ، وَخَرَجَ وَقَدْ أَفْلَتَ طَالِبِيهِ فَلَمْ يَجِدُوهُ. وَكَانَ مُوسَى لَا يَعْرِفُ ذَلِكَ الطَّرِيقَ، وَلَمْ يَصْحَبْ أَحَدًا، فَسَلَكَ مَجْهَلًا، وَاثِقًا بِاللَّهِ تَعَالَى، دَاعِيًا رَاغِبًا إِلَى رَبِّهِ فِي تَنْجِيَتِهِ مِنَ الظَّالِمِينَ"[7]، ومن الأمر الذي دّل على الدعاء أيضًا قوله تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام: **﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[8]، فإذا تأملنا صيغة الأمر في الآية الكريمة (فافتح-ونجني) وجدناها صادرة من الأدنى -نوح عليه السلام- إلى الأعلى -الله ﷻ- على خلاف مقتضى الأمر الذي يكون من الأعلى إلى الأدنى، ولذلك دل الأمر على معنى آخر يستلزمه السياق وهو الدعاء، فبعد أن صبر نوح عليه السلام على قومه دهورًا، قال: رب إن قومي كذبون، ولما كان الله تعالى عالما بحالهم، دل على أن نوح عليه السلام يعتذر عن دعائه على قومه ببيان سببه، فقدَّم العذر وأتبعه بالدعاء **﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً﴾**، والمعنى" فاحكم بيني وبينهم حكمًا يهلك به من جحد توحيدك وكذب رسولك، ونجني ومن آمن معي من العذاب الذي تنزله بهم"[9].

ومن خلال الأمثلة السابقة، وجدنا أن الأمر فقد شرط العلو؛ حيث جاء الأمر في الأمثلة السابقة من الأدنى إلى الأعلى، وبتعبير التداولية تم خرق قاعدة المناسبة، وإذا

(١) الشعراء، الآية ١٦٩.
(٢) التفسير الوسيط، ١٦١٧/٧.
(٣) فتح القدير، ١٣٢/٤، التفسير الوسيط، ١٦١٧/٧.
(٤) القصص، الآية ١٦.
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٢٨٠/٤.
(٦) القصص، الآية ٢١.
(٧) البحر المحيط، ٢٩٥/٨.
(٨) الشعراء، الآية ١١٨.
(٩) التفسير الوسيط، ١٦٠٥/٧.

افترضنا أن المتكلم التزم مبدأ الحوار، يكون الأمر قد خرج عن معناه الحرفي، ودل على معنى آخر هو الدعاء من خلال السياق الذي ورد فيه.

٢- **النصح والإرشاد:** من الدلالات المستلزمة لأسلوب الأمر في الطواسين، النصح، حيث يتم خرق أحد شروط الأمر وهو شرط العلو، كأن يكون الأمر من المساوي، وذلك كما في خطاب مؤمن آل فرعون لسيدنا موسى عليه السلام كما في قوله تعالى: **﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾**(١)، حيث أفاد الأمر النصح والإرشاد، ولذلك استجاب له موسى عليه السلام، كما حكى الله ﷻ في قوله: **﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**(٢)، ودلالة الأمر على النصح في الآية الكريمة واضحة بقرائن الأحوال حيث ذكر الغرض بعد الأمر مباشرة "إني لك من الناصحين"، ومن الأمر الذى دل على النصح، قول قوم موسى عليه السلام لقارون، كما حكى القرآن الكريم: **﴿وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة﴾**(٣)، حيث جاء الأمر هنا من الأدنى إلى الأعلى، ومن ثم خرق قاعدة المناسبة، ومع التزام المتحاورين بمبدأ التعاون، يفهم أن الأمر غرضه تقديم النصح لقارون حتى يحسن في الإنفاق من ماله، كما أحسن الله إليه، ولذلك رد عليهم بقوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾، " قَالَ قَارُونُ: هَذِهِ الْمَقَالَةُ رَدًّا عَلَى مَنْ نَصَحَهُ بِمَا تَقَدَّمَ، أَيْ: إِنَّمَا أُعْطِيتُ مَا أُعْطِيتُ مِنَ الْمَالِ لِأَجْلِ عِلْمِي"(٤)، ومن الأمر الذي جاء بغرض النصح والإرشاد، قوله تعالى في سورة الشعراء على لسان رسله في مخاطبتهم لقومهم : **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾**(٥)، والمتأمل يجد أن الأمر هنا خرق قاعدة المناسبة، فالأمر هنا جاء من المساوي بدليل قولهم في موضع آخر رداً على رسولهم "إن أنت إلا بشر مثلنا"، ومن ثم فَقَدَ الأمرُ صفة العلو، فأفاد معنى مستلزما، دل عليه السياق، وهو النصح والإرشاد لقومهم.

وفى سورة النمل جاء الأمر في قوله تعالى: **﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾** (٦)، دالاً على النصح لهم بأن يتأملوا في الكون، وما فيه من آيات بينات دالة على وحدانية الله وصدق رسله، والمعنى " أي: قل – يا محمد – لهؤلاءِ

(١) القصص، الآية ٢٠.
(٢) القصص، الآية ٢١.
(٣) القصص، الآية ٧٧.
(٤) فتح القدير، ٤/٢١٥.
(٥) الشعراء، الآية ١٠٨، تكررت الآية الكريمة في قصص أنبياء الله عليهم السلام كما يأتي: الآية ١٠٨،١١٠ سيدنا نوح، ١٢٦ سيدنا هود، ١٤٤ سيدنا صالح ،١٦٣ سيدنا لوط، ١٧٩ سيدنا شعيب.
(٦) النمل، الآية ٦٩.

المكذبين: سيروا في الأرض، فانظُرُوا بإمْعانٍ، وتفكروا كيف كان عاقبة المكذبين للرسل ﷺ فيما جاءُوا به من الإيمان بالله وحده، وبالمعاد الذي تنكرونه، فإن مشاهدة عاقبتهم، وآثار ما حل بهم من العذاب والنكال اللذين لم يَنْجُ منهما سوى الرسل ﷺ ومن اتبعهم من المؤمنين، يكفي أن يكون عظة وعبرة لذوي البصائر، وأولى الألباب، ودلالة واضحة على صدق ما جاءَت به الرسل وصحته، وفيه تهديد لهم على التكذيب، وتخويف بأَن ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم"[(١)]، وهنا تم خرق قاعدة الكيف، فعاقبة المجرمين معلومة ومعروفة، وآثارهم دالة على العقاب الذي نزل بهم، ومن ثم خرج الأمر إلى معنى مستلزم هو النصح والإرشاد.

٣- **الالتماس وطلب المعاونة:** يأتي الأمر ويراد به الالتماس[(٢)]، ومن ذلك قوله تعالى على لسان نبيه موسى ﷺ: **﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾**[(٣)]، حيث جاءت صيغة الأمر (فأرسل) من الأدنى إلى الأعلى مخالفة شروط الأمر، ومن ثم تم خرق قاعدة المناسبة من قواعد مبدأ التعاون، وبمعاونة السياق نستنتج أن المراد الالتماس، فموسى ﷺ قصد إلى أن يعينه الله عز وجل بأخيه، " ولهذا التمس من ربه أن يبعث جبريل أمين الوحي إلى هارون، ويجعله نبيًا ووزيرا له من أهله، يشركه في أمره، ليشد أزره ويقوى عضده"[(٤)]، وهذا ليس تهربا منه ﷺ، بل" مِنْ بَابِ طَلَبِ الْمُعَاوَنَةِ لَهُ بِإِرْسَالِ أَخِيهِ، لَا مِنْ بَابِ الِاسْتِعْفَاءِ مِنَ الرِّسَالَةِ، وَلَا مِنَ التَّوَقُّفِ عَنِ الْمُسَارَعَةِ بِالِامْتِثَالِ" [(٥)].

٤- **طلب المشورة:** ويكون الهدف من الأمر إبداء المشورة، حتى وإن كان المخاطَب أعلى منزلة، وذلك مثل قوله تعالى على لسان قوم فرعون لما قال لهم فرعون: "ماذا تأمرون "، أجابوه بقولهم: **﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾**[(٦)]، فالأمر في (أرجه-ابعث) جاء من الأدنى إلى الأعلى، ومن ثم فَقَدَ قاعدة المناسبة، ومع فرض الالتزام بمبدأ التعاون، دل ذلك على معنى آخر مستلزم من السياق وقرائن الأحوال، وهذا المعنى هو طلب المشورة، فالأمر -هنا- ليس على سبيل

(١) التفسير الوسيط، ١٧٠٨/٧.

(٢) الذي يفرق بين الأمر والالتماس والدعاء، هو شرط الاستعلاء؛ فالأمر يكون على جهة الاستعلاء سواء أكان من الأعلى إلى الأدنى، أم من الأدنى إلى الأعلى، وفي الحالة الثانية (من الأدنى إلى الأعلى) ينسب قائله إلى الحمق وسوء الأدب، لأنه أمر من هو أعلى منه، فإذا تم الأمر دون صفة الاستعلاء كان التماسا أو دعاء، ولذلك قيل الأمر" هو اللفظ الدال على طلب الفعل بطريق الاستعلاء، واحترز بلفظ الاستعلاء عن الالتماس والدعاء"، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، ج١٠١/١.

(٣) الشعراء، الآية ١٣.

(٤) التفسير الوسيط، ١٥٥٩/٧.

(٥) فتح القدير، ١١١/٤.

(٦) الشعراء، الآية ٣٦.

الإلزام، والقرينة الدالة عليه قول فرعون لهم: ماذا تأمرون، أي قولوا لي أي شيء أفعله لأنقذ ملكي من الضياع، " وكان هذا من تسخير الله – تعالى – لهم أن نطقوا بما نطقوا، وأتوا بمشورتهم هذه ليجتمع السحرة مع الناس في صعيد واحد، وتظهر آيات الله ومعجزاته قاهرة لجميع السحرة أمام الناس في وضح النهار، فأشاروا عليه أن يجمع السحرة من أطراف ملكه"(١)، والمستشير" وإن كان أفضل من المستشار رأياً، فهو يزداد برأيه رأيا، كما تزداد النار بالودك (الزيت) ضوءاً"(٢) .

٥- **التعجيز:** وفيه ترد صيغة الأمر لطلب الشيء المستحيل حدوثه، ومن ثم تم خرق قاعدة الكيف، وكذلك شرط الأمر وهو إمكان وقوع الشيء المطلوب، فدل الأمر على معنى مستلزم من السياق، وهو هنا التعجيز والتبكيت، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿أَمَّن يبدأ الخلق ثم يعيده وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** (٣)، فالأمر هنا فقد شرط إمكان حصول الشيء المطلوب، ومن ثم كان ذلك قرينة على خروج الأمر لمعنى آخر يستلزمه السياق، وهو التعجيز، حيث سبق هذا الأمر بأمور لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى، مثل " الرزق والخلق "، مما يدل على عدم وجود إله آخر غير الله قادر على ذلك، ومن ثم كان طلب الإتيان ببرهان على ادعائهم وجود إله، نوع من التعجيز لهم، مصحوباً بالتوبيخ، فالله ﷻ" القادر وحده على أن يرزقكم من السماء والأرض بأسباب سماوية وأرضية، رتبها وفق ما اقتضته حكمته، ممَّا يدل على أنه ليس هناك – كما يزعمون – إله آخر موجود مع الله يقدر على فعل شيء يذكر، فإن تمسك أُولئك المشركون بعد هذا بدعواهم، فقل لهم – أيها النبي موبخًا لهم ومنكرًا عليهم –: أقيموا لنا برهانًا عقليًّا أو نقليًّا على صحة ما تدَّعُون إن كنتم صادقين، ولن يتأَتى لهم الإتيان به مهما حاولوا" (٤) .

٦- **التهكم والتوبيخ:** من الدلالات المستلزمة لأسلوب الأمر في الطواسين التهكم والتوبيخ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة القصص: **﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾**(٥)، فأسلوب الأمر هنا لم تتحقق فيه كل قواعد مبدأ التعاون التي قررها جرايس، حيث تم خرق قاعدة الكيف،

(١) التفسير الوسيط، ١٥٦٩/٧-١٥٧٠.
(٢) الأدب الصغير و الأدب الكبير، ص٥٣.
(٣) النمل، الآية ٦٤.
(٤) التفسير الوسيط، ١٧٠٣/٧.
(٥) القصص، الآية ٦٤.

وذلك لأنه معلوم أن الآلهة التي عبدوها لا تنفعهم ولا تقدر على إجابتهم، ومن ثم وضح أن الأمر يراد به معنى مستلزم غير المعنى الحرفي، وهذا المعنى المستلزم هو التهكم والتوبيخ بدلالة السياق عليه، فالمقام مقام توبيخ لهم على عبادتهم ما لا تنفع عبادته، والمعنى " وقيل للكفار تقريعًا لهم، وتهكمًا وتشهيرًا بهم على رءوس الأشهاد، بدعاء من لا نفع فيه لنفسه، قيل للكفار: استعينوا بآلِهتكم التي عبدتموها في الدنيا لتنصركم، وتدفع عنكم كما كنتم ترجون منهم ذلك في الدار الدنيا، فاستغاثوا بهم، فلم يجيبوهم، ولم ينتفعوا بهم، ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة، ولأنهم في شغل شاغل عنهم، وتيقنوا أنهم صائرون إلى النار لا محالة، ولو أنهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب لدفعوا به العذاب، أو لو أنهم كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه، قال الزمخشري: حكى – سبحانه وتعالى – أولًا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء، ثم ما يقوله الشياطين أو أئمتهم عند توبيخهم؛ لأنهم إذا وُبِّخُوا بعبادة الآلهة، اعتذروا أن الشياطين هم الذين استفزوهم وزينوا لهم عبادتها، ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم ألهتهم، وخذلانهم لهم، وعجزهم عن نصرتهم، ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بإرسال الرسل وقطع الحجة"[1].

وفي ختام هذا التحليل يمكن أن نستنتج ما يأتي:

أ- أسلوب الأمر في الطواسين له معنيان: المعنى الحرفي: وهو الأمر، وهذا المعنى الحرفي ينتج إذا أُجرِي الأمر على أصله؛ أي توافرت فيه شروط إجراء الأمر على أصله- كما ذكرتها سابقاً- ولكن إذا تم خرق هذه الشروط تم إجراء الأمر على غير أصله، وخرج الأمر إلى المعنى الثاني: وهو المعنى المستلزم الذي يعرف بالسياق وقرائن الأحوال، وقد رأينا من خلال تحليل أسلوب الأمر في الطواسين، أن من الدلالات المستلزمة التي أفادها: الدعاء، النصح، الالتماس، طلب المشورة، التعجيز، التهكم والتوبيخ.

ب-ويلاحظ أيضًا أن الأمر في الطواسين جاء بصيغة واحدة وهي صيغة فعل الأمر دون الصيغ الثلاث الأخرى.

ت-ولاحظت أيضًا أن شرط الاستعلاء شرط مهم في فهم أسلوب الأمر، فتحقق هذا الشرط يجعل الأمر جاريا على أصله، وعدم تحققه يدل على خروج الأمر إلى معنى مستلزم – غالبا – كالدعاء والالتماس.. إلخ.

(١) التفسير الوسيط، ١٧٩٨/٧.

المطلب الثالث: الدلالات الاستلزامية لأسلوب النهي في الطواسين:

من خلال تحليل أسلوب النهي في الطواسين، وجدت أنه جاء على معناه الأصلي وهو النهي في مواضع، وخرج عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى مستلزمة من السياق، ومن هذه المعاني:

١- **التحذير:** من الدلالات المستلزمة التي أفادها النهي في الطواسين، التحذير، ومن ذلك قوله تعالي على لسان سيدنا صالح عليه السلام مخاطبًا قومه: **﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾** (١)، حيث أراد عليه السلام تحذيرهم من الإقدام على مس الناقة بسوء، فيترتب على ذلك عذابهم من الله تعالى، وهنا فَقَدَ النهي شرط الاستعلاء، فأفاد بمعاونة السياق معنى التحذير، والمعنى " ولا تلحقوا بها أذى، فيهلككم عذاب يوم عظيم، ووصف اليوم بالعظم؛ لعظم ما يحل فيه، وهو أبلغ من وصف العذاب به، وبعد هذا التحذير مكثت الناقة حيناً ترد الماء، وتأكل من أوراق الشجر والعشب في يومها، وتمنحهم من لبنها ما يكفيهم شربًا وريًّا، دون أن تَعْدُوَ عليهم، ومكثوا هم مقتصرين على شربهم في يومهم، فلما طال عليهم الأَمد، ضاقوا بمنعهم عن الماء في يومها، فتمالئوا على عقرها"(٢).

ومنه قول الله تعالى حاكيًا خطاب النملة لأمتها محذرة إياها من سليمان عليه السلام وجنوده، **﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾** (٣)، حيث حذرت النملة أمتها قبل مجيء سليمان عليه السلام وجنوده بقولها السابق، قال ابن عاشور: "وَلَا يَحْطِمَنَّكُمْ إِنْ جُعِلَتْ لَا فِيهِ نَاهِيَةً كَانَتِ الْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةً تَكْرِيرًا لِلتَّحْذِيرِ وَدَلَالَةً عَلَى الْفَزَعِ لِأَنَّ الْمُحَذِّرَ مِنْ شَيْءٍ مُفْزِعٌ يَأْتِي بِجُمَلٍ مُتَعَدِّدَةٍ لِلتَّحْذِيرِ مِنْ فَرْطِ الْمَخَافَةِ وَالنَّهْيِ عَنْ حَطْمِ سُلَيْمَانَ إِيَّاهُنَّ كِنَايَةً عَنْ نَهْيِهِنَّ عَنِ التَّسَبُّبِ فِيهِ وَإِهْمَالِ الْحَذَرِ مِنْهُ "(٤)، وفي التفسير الوسيط: " وقولها هذا نهي مؤكد بالنون لجماعتها من النمل عن التعرض لتحطيمها من سليمان وجنوده، إن لم تدخل مساكنها من وادي النمل قبل مجيئهم، وقد أدركت بإلهام الله لها أنهم لو حطموها وهو في طريقهم، فإنما يفعلون ذلك لا عن شعور بها، كأنها أدركت عصمة الأنبياء عن

(١) الشعراء، الآية ١٥٦.
(٢) التفسير الوسيط، ١٦١٤/٧.
(٣) النمل، الآية ١٨.
(٤) التحرير والتنوير، ٢٤٢/١٩.

الظلم بإرادتها، وذلك منها أدب"[١]، ولهذا تبسم بسبب قولها هذا، قال الشوكاني: " وَكَانَ ضَحِكَ سُلَيْمَانَ تَعَجُّبًا مِنْ قَوْلِهَا، وَفَهْمِهَا، وَاهْتِدَائِهَا إِلَى تَحْذِيرِ النَّمْلِ"[٢].

ومن ثم دل النهي في الأمثلة السابقة على معنيين:

- المعنى الحرفي: وهو النهي.
- المعنى المستلزم: وهو التحذير.

٢- **التوبيخ:** من النهي الذي دل دلالة مستلزمة على التوبيخ، قوله تعالى في سورة الشعراء على لسان نبيه شعيب عليه السلام موبخًا قومه ومقبحًا صنيعهم: **﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾** [٣]، والمعنى" لا تبالغوا في الإفساد فيها بقطع الطريق والقتل والسلب، وهو هلاك الزرع، وكانوا يفعلون ذلك، فنهوا عنه بالتنصيص ردعًا لهم، وتقبيحًا لصنيعهم السيء الذي ينفر منه كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد"[٤]، ومن ثم فإن النهي في الآية الكريمة له دلالتان:

- الأولى: دلالة أصلية: وهي النهي.
- الثانية: دلالة مستلزمة: وهي التوبيخ.

٣- **التسلية:** ومن ذلك قوله تعالى مخاطبًا نبينا محمد ﷺ **﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾** [٥]، وفي الآية تصبير للنبي، يقول الرازي:" ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى صَبَّرَ رَسُولَهُ عَلَى مَا يَنَالُهُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ فَقَالَ: وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ فَجَمَعَ بَيْنَ إِزَالَةِ الْغَمِّ عَنْهُ بِكُفْرِهِمْ وَبَيْنَ إِزَالَةِ الْخَوْفِ مِنْ جَانِبِهِمْ، وَصَارَ ذَلِكَ كَالتَّكَفُّلِ بِنُصْرَتِهِ عَلَيْهِمْ"[٦]، فالنهي جاء" تسلية للرسول ﷺ، أي: ولا تأسف على المكذبين لإصرارهم على الكفر، وتذهب نفسك عليهم حسرات، ويكون صدرك حرجًا من كيدهم وإنكارهم ما جئت به، فإن الله مؤيدك وناصرك عليهم، ومظهر دينك في المشارق والمغارب على من خالفه وعانده"[٧].

ومن ثم فإن النهي في الآية الكريمة له دلالتان:

- الأولى: الدلالة الحرفية: وهي النهي.

---

(١) التفسير الوسيط، ١٦٦٦/٧،
(٢) فتح القدير، ١٥١/٤.
(٣) الشعراء، الآية ١٨٣.
(٤) التفسير الوسيط، ١٦٢٢/٧.
(٥) النمل، الآية ٧٠.
(٦) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ٥٦٩/٢٤.
(٧) التفسير الوسيط، ١٧٠٨/٧.

- الثانية: الدلالة المستلزمة: وهي التسلية.

٤- **النصح والإرشاد:** ومن ذلك خطاب أتقياء بني إسرائيل لقارون، كما أخبر القرآن الكريم: **﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾**[١]، فالنهي (لا تفرح، لا تنس، لا تبغ) صدر من الأدنى إلى الأعلى، فدل –بمعاونة السياق– على النصح والإرشاد له، فقد أرادوا نصحه ومنعه من ظلمه، وأن يتذكر نعم الله عليه، ولذلك رد عليهم بقوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾، قال الشوكاني:" قَالَ قَارُونُ: هَذِهِ الْمَقَالَةُ رَدًّا عَلَى مَنْ نَصَحَهُ بِمَا تَقَدَّمَ، أَيْ: إِنَّمَا أُعْطِيتُ مَا أُعْطِيتُ مِنَ الْمَالِ لِأَجْلِ عِلْمِي"[٢]، لأنه ظن " أنهم يصفونه بأنه أوتيه إحسانًا عليه بغير سبب يقتضيه "[٣]، ومن ثم فالنهي في الآية الكريمة له دلالتان:

- إحداهما: الدلالة الأصلية: وهي النهي.
- والثانية: الدلالة المستلزمة التي تفهم من السياق: وهي النصح.

ومجمل القول: إن أسلوب النهي في الطواسين جاء على أصله في المواضع التي توافرت فيها شروطه، وقد خرج إلى دلالات مستلزمة من السياق، مثل: التحذير والتوبيخ والنصح والإرشاد، في المواضع التي أشرت إليها، وأن هذه المعاني أو الدلالات المستلزمة تتعدد بتعدد السياقات التي ترد فيها، وأيضا تتولد هذه الدلالات نتيجة عدم الالتزام بشروط النهي، أو بسبب الإخلال بقواعد مبدأ التعاون على حد تعبير جرايس.

(١) القصص، الآيتان ٧٦-٧٧.
(٢) فتح القدير، ٢١٥/٤.
(٣) التفسير الوسيط، ١٨١٠/٧.

الخاتمة:

تناول الباحث في هذا البحث الدلالات الاستلزامية للأساليب الإنشائية في الطواسين، في ضوء نظرية الاستلزام الحواري لجرايس، هادفًا إلى الكشف عن المعاني الضمنية لأساليب الاستفهام والأمر والنهي في سور الشعراء والنمل والقصص والمعروفة بالطواسين، والهدف من ذلك محاولة دراسة هذه الأساليب باستخدام المنهج التداولي وهو منهج لغوي حديث، حتى نؤكد أيضًا على فكرة ضرورة دراسة تراثنا بالمناهج اللغوية الجديدة التي ظهرت على الساحة المعرفية، لنكشف النقاب عن أصالة هذا التراث وغناه وصلاحيته، والجهد العظيم الذي بذله أسلافنا في دراسة العربية خدمة لكتاب الله العزيز، وقد ألقيت الضوء في هذا البحث على الأساليب الإنشائية من حيث تعريفها وشروط إجراء كل أسلوب على أصله، والمعانى التي يفيدها كل أسلوب إن لم يجر على أصله، وذلك في المبحث الأول، ثم درست نظرية الاستلزام الحواري عند جرايس وعرَّفت بها وبقواعدها في المبحث الثاني، وجاء المبحث الثالث من البحث للتطبيق على السور المعروفة بالطواسين، وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج نشير إلى أهمها فيما يأتي:

١. الأساليب الإنشائية تستعمل استعمالين؛ أحدهما أصلي والآخر مستلزم، أي إذا تم إجراء الأسلوب الإنشائي على أصله يدل على المعنى الأصلي له، وهو الاستفهام أو الأمر أو النهي، وإذا لم يجر على أصله خرج إلى معان أخرى مستلزمة يحددها السياق.
٢. مقولة "الإجراء على الأصل" عند علمائنا تقابل الالتزام بقواعد مبدأ التعاون عند جرايس، ويمثل الخروج على الأصل لديهم، خرق أحد قواعد مبدأ التعاون عن جرايس.
٣. مقولة "لكل مقام مقال" عند علمائنا تبين وعيهم بدور المقام في تحديد الدلالات المستلزمة، وهذا ما اهتمت به التداولية أيضًا.
٤. كثير من مبادئ نظرية الاستلزام الحواري وأفكارها تمت الإشارة إليه في كتب علمائنا القدماء، وإن جاءت متفرقة هنا وهناك، مما يشير إلى أهمية الكشف عنها وإبرازها في صورة جديدة، ملائمة لتطور العلوم اللغوية في عصرنا.
٥. أكثر الأساليب الإنشائية ورودًا في الطواسين كانت (الاستفهام- الأمر- النهي) ولذا اقتصرنا عليها في البحث.

٦. الاستفهام في الطواسين جاء على أصله في مواضع، وخرج عن هذا الأصل في مواضع أخرى، فدل على دلالات مستلزمة منها: التهكم والسخرية، والإنكار والتوبيخ، وطلب المشورة، والحث والتشجيع، والتعريض، والتقرير.

٧. كذلك خرج أسلوب الأمر في الطواسين عن معناه الأصلي، إلى معان أخرى حددها السياق، ومنها: الدعاء، والنصح والإرشاد، والالتماس، وطلب المشورة، والتعجيز.

٨. خرج أسلوب النهي إلى معان مستلزمة من السياق، مثل: الدلالة على التحذير، والتوبيخ، والتسلية، والنصح والإرشاد.

٩. اهتم علماؤنا القدماء– وبخاصة البلاغيون– عند دراستهم للأساليب الإنشائية بالمعاني الضمنية التي تفيديها هذه الأساليب.

١٠.يمثل كل من: المتكلم والمخاطب والسياق العناصر الأساسية في نظرية الاستلزام الحواري، وهذه العناصر كانت محل اهتمام علمائنا في دراستهم للمعنى.

١١.هناك تصور واضح لدي القدماء لفكرة الاستلزام الحواري، وإن اختلفت مصطلحاتهم، فقد عبروا عن المعاني المستلزمة حواريًا بمصطلحات من قبيل (المعاني الثواني– الأغراض البلاغية– الأغراض الفرعية).

١٢. الاتفاق حاصل بين القدماء وبول جرايس حول أهمية السياق في استنباط/ التوصل للمعاني المستلزمة حواريًا.

١٣. قدَّم القدماء نموذجا محترما لفكرة الاستلزام الحواري، وهو نموذج كاف لدراستها، مع عدم القول بأنهم سبقوا بول جرايس في ذلك، بل نقول إنهم أنتجوا شيئًا قيما يدعو إلى الاهتمام وإعادة قراءته بمنظور اللسانيات الحديثة.

وأخيرا يوصي البحث بضرورة دراسة مختلف ظواهر العربية بالمناهج اللغوية الحديثة، للكشف عن كنوز تراثنا، وبيان غناه، ولمواكبة التطور الحادث من حولنا، وأيضاً بيان ما يصلح للتطبيق على لغتنا وما لا يصلح.

المصادر والمراجع:

أولًا- المصادر والمراجع العربية:

١- الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، د. نادية رمضان النجار، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ط١، ٢٠١٣م.

٢- الأدب الصغير والأدب الكبير، عبد الله بن المقفع، دار صادر، بيروت، لبنان د.ت

٣- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ٢٠٠١.

٤- أساليب بلاغية، الفصاحة -البلاغة- المعاني، أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٨٠ م.

٥- الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، العياشي أدراوي، الدار العربية للطباعة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١١م.

٦- إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة، نقله إلى العربية وعلق عليه، د. سعيد حسن بحيري، دار المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

٧- إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، مختارات معربة بإشراف وتنسيق، د. عز الدين المجدوب، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ط١، ٢٠١٢ م.

٨- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.

٩- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ١٤٢٠هـ.

١٠- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

١١- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس،١٩٨٤ هـ.

١٢- التداولية بين النظرية والتطبيق، د. أحمد كنون، دار النابغة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٥م.

١٣- التداولية، جورج يول، ترجمة: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م.
١٤- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ.
١٥- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، (١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م)- (١٤١٤هـ = ١٩٩٣ م).
١٦- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.
١٧- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ت.
١٨- دراسة اللغة، جورج يول، ترجمة: د. حمزة قبلان المزيني، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٧م.
١٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ.
٢٠- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلويّ، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣ هـ.
٢١- علم اللسان، تأصيل المنهج العربي في البحث والتحليل، د. محمود عكاشة، مكتبة المتنبي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠١٧م.
٢٢- علم اللغة البراجماتي، الأسس والتطبيقات والمشكلات، بيتر ارنست، ترجمه إلى العربية، د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.
٢٣- علم اللغة الحديث، د. محمد حسن عبد العزيز، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.
٢٤- علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٢٥- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، - ١٤١٤ هـ.

٢٦- الفعل الكلامي معنى الجملة، حول الصيغة الأساسية البرجماتية للغة الطبيعية، بيت لـويس مولر، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.
٢٧- قاموس التداولية، جوليان لونجي وجورج إيليا سرفاتي، ترجمة: لطفـي السيد منـصور، الرافدين، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٢٠م.
٢٨- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، علاء الدين عبد العزيز أحمد البخـاري، شركة الصحافة العثمانية، إسطنبول، ط١، مطبعة سنده، ١٣٠٨ه-١٨٩٠م.
٢٩- لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء، د. نعمان بوقرة، دار الكتـب العلميـة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٢م.
٣٠- مبادئ ومسارات في الدرس اللغوي الحديث فصول مختارة، ترجمها إلى العربية، د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط١، ٢٠٠٩م.
٣١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الـرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلميـة – بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ.
٣٢- مدخل إلى علم اللغة، هايدرون يلتس، نقله إلى العربية، د. سعيد حـسن بحيـري، مكتبـة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.
٣٣- مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، باديس لهويمل، عالم الكتب الحـديث، إربـد، الأردن، ط١، ٢٠١٤م.
٣٤- معالم التداولية في كتاب النظرات للمنفلوطي، عبده العزيزي إبراهيم العزيـزي، مؤسـسة حورس الدولية، الإسكندرية، ٢٠١٧م.
٣٥- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمـي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التـراث العربـي، بيـروت، لبنـان، ط٣، ١٤٢٠ هـ.
٣٦- مفاهيم دلالية ولسانية لوصف العربية، د. عز الدين محمد المجـدوب، جامعـة القـصيم، المملكة العربية السعودية، ١٤٤٠ه.
٣٧- النص والخطاب والاتصال، د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القـاهرة، ٢٠١٤م.
٣٨- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عـالم الكتـب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

ثانيًا–المراجع الأجنبية:

١- Dawn Archer, Karin Aijmer and Anne Wichmann. *Pragmatics: An Advanced Research Book for Students*. London: Routledge, ٢٠١٢.

٢-Kecskes, Istvan. *Intercultural Pragmatics*. USA: Oxford University Press, ٢٠١٤.

٣-Levinson, Stephen C. *Pragmatics.* United Kingdom: Cambridge University Press, ١٩٨٣.

٤- Mey, Jacob L. *Pragmatics: An Introduction*. New Jersey: Wiley-Blackwell, Vol.٢, ٢٠٠١.